الحجة على الذاهب إلى تكفير
أبي طالب

السيد فخار بن معد الموسوي

المقدمة

الإمام الصادق (ع) يتحدث

الرسول (ص) يقول إني من أصلاب طاهرة

الفصل الأول

ما هو الإيمان

مع أبي طالب

الأخبار الدالة على إيمانه

حديث الضحضاح

موقفنا من الحديث

مصدر هذا الحديث

المغيرة في الميزان

عودة للأخبار الدالة على إيمان أبي طالب

الفصل الثاني

جهل و تضليل

مع الآية مرة أخرى

أمر النبي بميراث أبي طالب

الفصل الثالث

حب الرسول لعمه أبي طالب

الفاقة تغزو أبا طالب

الفصل الرابع

خطبة أبي طالب في زواج النبي

أشعار أبي طالب الدالة على إيمانه

أبو سفيان بن الحرث يعلن إسلامه

أبو طالب يحذر أعداء الرسول

موقفه مع عثمان بن مظعون

في ذم أبي جهل

المأمون يقول بإسلام أبي طالب

مع النجاشي ملك الحبشة

أبو طالب يحث ولده على نصرة الرسول

الفصل الخامس

أبو طالب يأمر جعفرا بالصلاة مع الرسول

أبو طالب و فقده النبي

موقف الرسول بعد وفاة أبي طالب

المبرد يرى إسلام أبي طالب

الفصل السادس

النبي في وفاة عمه

الفصل السابع

أبو طالب و حنوه على النبي

أبو طالب يحث حمزة على الإسلام

ألوان من إيمان أبي طالب

إقرار أبي طالب بالتوحيد

الفصل الثامن

لامية أبي طالب المشهورة

عبيدة بن الحرث يستشهد بقول عمه

فاطمة تستشهد ببيت أبي طالب

أعرابي يستنجد بأبيات أبي طالب

استسقاء أبي طالب بالنبي

أبو طالب يهدد قريشا

ابن عباس يستدل بشعر عمه على إسلامه

أبو طالب يدعو الله بنصر النبي

الفصل التاسع

وصية أبي طالب بنصرة النبي

تساؤل و استغراب

سادات العرب يشيدون بأبي طالب

الفصل العاشر

السبب في كتمان أبي طالب إسلامه

أبا طالب يستعطف أبا لهب

أبو طالب و ابن الزبعري

معاوضة قريش الفاشلة

أبو طالب يثأر لعثمان بن مظعون

إبراهيم الخليل جاري قومه

مثل أبي طالب كمثل أصحاب الكهف

أبو طالب يكتم إيمانه مخافة على بني هاشم

خاتمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب :

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي تظاهرت آلاؤه و حسن إلى خلقه بلاؤه أحمده على ما منحنا من هدايته و رزقنا من معرفته و أشهد أن لا إله إلا الله شهادة يفوز بها السعداء و يحيد عنها الأشقياء و صلى الله على المختار من الأنام المبعوث لتمييز الحلال من الحرام صاحب الحوض و الكوثر المحبو بالكرامة لدى المحشر محمد بن عبد الله خاتم النبيين و سيد الأولين و الآخرين و علي المرتضى وصيه المخصوص بأخوته إمام المتقين علي بن أبي طالب أمير المؤمنين و على ذريته الأصفياء الهداة النجباء ما اصطحب الفرقدان و اختلف الملوان. و بعد فإني رأيت جماعة من المنتمين إلى الإسلام المنتحلين للإيمان يثبتون أبا طالب بن عبد المطلب بن هاشم تغمده الله برضوانه و أسكنه بحبوحة جنانه في حيز الكافرين و يعدونه في عداد الجاحدين مع ما يروون من أشعاره الشاهدة بصحة إسلامه و يؤثرون من أخباره المؤذنة بإيمانه بغضا منهم لولده أمير المؤمنين و حسدا لفارس المسلمين حيث كان لا تكسر عوده العواجم و لا يقرع صفاته المزاحم كما قيل فيه :

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا فضله *** فالقوم أعداء له و خصوم

كضرائر الحسناء قلن لوجهها *** حسدا و بغيا إنه لدميم

حتى أنهم ليقطعون على عبد المطلب بن هاشم و آمنة بنت وهب بن زهرة بن كلاب أبوي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالكفر و يرمونهما بالشرك تشييدا لمقالتهم و موافاة لبهتهم و كذلك يقولون في شيخ البطحاء و سيد مضر الحمراء عبد المطلب بن هاشم جد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) و كل منهم قد دلت الأدلة الصريحة على إسلامه و شهدت الروايات الصحيحة بصحة إيمانه .

الإمام الصادق (عليه السلام) يتحدث :

فمن ذلك ما أخبرني به شيخنا السعيد أبو عبد الله محمد بن إدريس رضي الله عنه في شهر ربيع الأول سنة ثلاث و تسعين و خمس مائة قال أخبرني الشريف أبو الحسن علي بن إبراهيم العلوي العريضي عن الحسين بن طحال المقدادي عن الشيخ المفيد أبي علي الحسن بن محمد الطوسي عن والده الشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي رحمهما الله عن رجاله عن الحسن بن جمهور العمي البصري عن أبيه عن عبد الله بن عبد الرحمن الأصم عن مسمع كردين عن أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عن آبائه عن علي

(عليه السلام) قال ; قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : هبط علي جبرئيل فقال لي يا محمد إن الله عز و جل مشفعك في ستة بطن حملتك آمنة بنت وهب و صلب أنزلك عبد الله بن عبد المطلب و حجر كفلك أبو طالب و بيت آواك عبد المطلب و أخ كان لك في الجاهلية قيل يا رسول الله و ما كان فعله قال كان سخيا يطعم الطعام و يجود بالنوال و ثدي أرضعك حليمة بنت أبي ذؤيب . .

و من ذلك ما أخبرني به الشيخ أبو عبد الله رحمه الله بهذا الإسناد إلى الشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي رحمه الله عن رجاله يرفعونه إلى إدريس و علي بن أسباط جميعا قالا;

إن أبا عبد الله (عليه السلام) قال : أوحى الله تعالى إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إني حرمت النار على صلب أنزلك و بطن حملك و حجر كفلك و أهل بيت آواك فعبد الله بن عبد المطلب الصلب الذي أنزله و البطن الذي حمله آمنة بنت وهب و الحجر الذي كفله فاطمة بنت أسد و أما أهل البيت الذي آواه فأبو طالب . .

و من ذلك ما أخبرني به الشيخ أبو الفضل بن الحسين الحلي الأحدب رحمه الله قراءة عليه سنة ثمان و تسعين و خمس مائة قال أخبرني الشريف أبو الفتح محمد بن محمد ابن الجعفرية العلوي الحسيني الحائري سنة واحد و سبعين و خمس مائة ه قال أخبرني الشريف أبو الحسن محمد بن الحسن بن أحمد العلوي الحسيني قال حدثنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن شهريار الخازن قال حدثني والدي أبو نصر أحمد بن شهريار عن أبي الحسن محمد بن شاذان عن الشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي قال حدثنا أبو علي قال حدثنا الحسين بن أحمد المالكي قال حدثنا أحمد بن هلال قال حدثني علي بن حسان عن عمه عبد الرحمن بن كثير قال سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول : نزل جبرئيل على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال يا محمد إن الله تعالى يقرئك السلام و يقول لك إني قد حرمت النار على صلب أنزلك و على بطن حملك و حجر كفلك فقال يا جبرئيل من تقول ذلك فقال أما الصلب الذي أنزلك فصلب عبد الله بن عبد المطلب و أما البطن الذي حملك فآمنة بنت وهب و أما الحجر الذي كفلك فعبد مناف بن عبد المطلب و فاطمة بنت أسد .

و عبد مناف بن عبد المطلب هو أبو طالب رضي الله عنه فكيف يحرم الله النار على هؤلاء المذكورين و هم به مشركون و بوحدانيته كافرون و الله تعالى يقول إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَ يَغْفِرُ ما دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ فتأمل هداك الله هذه الأخبار فإنها دالة على أن القوم لله تعالى عارفون و بوحدانيته مؤمنون.

و من ذلك ما أخبرني به الشيخ أبو الفضل ابن الحسين الحلي الأحدب قراءة عليه أيضا بهذا الإسناد إلى المالكي عن أحمد بن هلال عن إسماعيل السراج عن بعض رجاله أنه سمع أبا عبد الله جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) يقول : يبعث الله عبد المطلب يوم القيامة و عليه سيماء الأنبياء و بهاء الملوك .

الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول إني من أصلاب طاهرة :

و من ذلك الحديث الذي نقله الثقات و تظافرت به الروايات :

و هو قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) :نقلنا من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الزكية .

و لاشتهار هذا الحديث و كثرة الطرق التي نرويه بها لم نذكر له إسنادا و قد يروى عنه (عليه السلام) بلفظ آخر :

و هو قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) : لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات حتى أسكنت في صلب عبد الله و رحم آمنة بنت وهب .

و روي عنه أيضا بلفظ آخر :

و هو قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) : لم يزل الله تعالى ينقلني من أصلاب الطاهرين إلى أرحام المطهرات حتى أخرجني إلى عالمكم هذا .

فكان من أوضح الدليل على إيمان المشار إليهم (عليه السلام) شهادة الرسول الصادع بالحق و الناطق بالصدق لهم بالطهارة و قد أخبر الله تعالى عن الكافرين بالنجاسة فقال إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ و النجس خلاف الطاهر فبين (عليه السلام) أنهم مؤمنون غير مشركين لأنهم لو كانوا عنده (عليه السلام) مشركين لما شهد لهم بالطهارة بعد حكم الله عليهم بالنجاسة. فإن قيل إنما أراد (صلى الله عليه وآله وسلم) بالطهارة خلوهم عن المناكح الفاسدة التي كانت الجاهلية تستعملها و لم يرد الطهارة التي هي الإيمان. قلنا شهادته (صلى الله عليه وآله وسلم) لهم بالطهارة عامة في الإيمان و المناكح الصحيحة فمن خصها بأحد الوجهين دون الآخر طولب بالدليل. و أيضا لو كان (عليه السلام) أراد ذلك لوجب أن يبينه في حديثه لكي لا يقع منه الإبهام أنه شهد لمن سماه الله تعالى في كتابه نجسا بالطهارة. فإن احتج المخالف لنا في إيمان آباء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بما حكاه الله تعالى عن إبراهيم (عليه السلام) و أبيه قلنا إن إبراهيم (عليه السلام) إنما كان يخاطب بتلك المخاطبة عمه آزر بن ناحور فأما أبوه فكان اسمه تارخ بن ناحور بإجماع أهل العلم فكان أبوه قد مضى فتزوج عمه آزر بأمه و رباه يتيما في حجره. و كانت السنة في ذلك العصر و بعده إلى مبعث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى وقتنا هذا أن كل من ربى يتيما في حجره سمي ابنا له و جعل من يربيه له أبا. على

أن العرب تسمي العم أبا و ابن الأخ ابنا و قد نطق القرآن بذلك و تكلمت به العرب قال الله تعالى أَمْ كُنْتُمْ شُهَداءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قالَ لِبَنِيهِ ما تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قالُوا نَعْبُدُ إِلهَكَ وَ إِلهَ آبائِكَ إِبْراهِيمَ وَ إِسْماعِيلَ وَ إِسْحاقَ إِلهاً واحِداً وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ فجعل إسماعيل أبا ليعقوب و هو عم يعقوب لأن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم (عليه السلام) و إسماعيل بن إبراهيم (عليه السلام) و كذلك سبيل إبراهيم (عليه السلام) فيما اقتصه الله تعالى من دعوته لأبيه إنه كان يخاطب عمه على ما بيناه من جواز تسمية عمه بأبيه من جهة أن العم يسمى أبا على ما نطق به القرآن و من جهة أنه كان زوج أمه و تربى يتيما في حجره. و مما يدل على إسلام آباء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله تعالى وَ إِذْ يَرْفَعُ إِبْراهِيمُ الْقَواعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَ إِسْماعِيلُ رَبَّنا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ رَبَّنا وَ اجْعَلْنا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِنا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَ أَرِنا مَناسِكَنا وَ تُبْ عَلَيْنا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ فغير جائز أن تنقطع هذه الأمة المسلمة إبراهيم و إسماعيل إلى يوم القيامة. فمن زعم بعد تلاوة هذه الآية من كتاب الله تعالى أن النبي (عليه السلام) ولد من كفار فقد زعم أن الأمة المسلمة من ذرية إسماعيل قد انقطعت في وقت من الأوقات. و من زعم أنها انقطعت في وقت من الأوقات فقد زعم أن دعوة إبراهيم و إسماعيل (عليه السلام) لم تستجب. و من قال بذلك فما آمن بالله و لا برسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) و لا عرف حق أنبيائه و لا منازل حججه و كفى بهذا ضلالا لمن اعتقده. فهذا جميعه دليل على إيمان عبد الله بن عبد المطلب و آمنة بنت وهب و عبد المطلب بن هاشم و أبي طالب بن عبد المطلب رضي الله عنهم. و إنما كان أهل العناد و العدول عن الرشاد يقطعون على أبي طالب (عليه السلام) بالكفر و يرمونه بالشرك للوجه الذي أومأنا إليه و نبهنا عليه و هو التحامل على ولده أمير المؤمنين و المحاولة لإخمال سيد الوصيين و الله متم نوره و لو كره المشركون. فلما رأيت ذلك أحببت على كثرة الحوادث القاطعة و الهنابث المانعة أن أورد ما أداه سماعي من الأحاديث الشاهدة لأبي طالب (عليه السلام) بالإيمان و الأشعار التي صرح فيها بالإسلام و قصدت القربة إلى الله تعالى بإنكار المنكر الشنيع و القول الفظيع بقلبي و لساني حيث تعذر على إنكاره بسيفي و سناني و ها أنا مثبت في هذا الكتاب من الأخبار التي تدل على إيمان أبي طالب (عليه السلام) ما يمكنني و أشفعها من المقال بما يحضرني ثم أتبع ذلك بطرف من أشعاره التي رواها المخالفون و نقلها المؤالفون و أتكلم على ما ينبغي أن يتكلم عليه فيها و أذكر من الاستدلال ما نتجته قريحتي و ما عثرت عليه مما سبقني إليه مشيختي. و أسأل الله الزلفى لديه و الصدق في التوكل عليه و أن يجعل ذلك محرزا لثوابه منجيا من عقابه فإنه عفو غفور بكل خير جدير .

الفصل الأول

ما هو الإيمان :

اعلم أن الإيمان في اللغة التصديق و سمي المؤمن مؤمنا لأنه مصدق لله تعالى و لرسله (عليه السلام) يقال آمن يؤمن إيمانا فهو مؤمن إذا صدق قال الله تعالى حاكيا عن بني يعقوب (عليه السلام) وَ ما أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنا أي بمصدق لنا. و سمي الله تعالى مؤمنا لأنه مصدق لما وعده و قيل سمي تعالى مؤمنا من الأمان أي لا يؤمن إلا من آمنه و قيل سمي تعالى مؤمنا لأن الخلق أمنوا من ظلمه و جوره فهذا حقيقة الإيمان في اللغة فأما في عرف المتكلمين من أهل الإسلام فهو اعتقاد بالقلب و تصديق باللسان. و لا طريق لنا إلى معرفة إيمان واحد من المكلفين إلا من وجهين أحدهما أن نرى المكلف مصدقا لله تعالى و رسله (عليه السلام) مقرا بجملة المعارف عاملا بأحكام الإسلام فنجري عليه أحكام المؤمنين و نخرجه من حيز الكافرين و نقطع له بالجنة بشرط مطابقة الباطن للظاهر. و الوجه الآخر أن يخبرنا من قامت الأدلة الصحيحة على عصمته بإيمان واحد من المكلفين كأخبار النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بإيمان سلمان و عمار و أبي ذر و من ضارعهم فمن أخبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أو أحد من المعصومين من أهل بيته (عليه السلام) بإيمانه عددناه من المؤمنين و قطعنا له بالجنة بيقين .

مع أبي طالب :

و هذا أبو طالب عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لوي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان رضي الله عنه و أرضاه و جعل جنته مأواه إذا تأملت أشعاره و تدبرت أخباره و جانبت هواك و لم تقلد في دينك أباك قطعت له بالإيمان الصحيح و الإسلام الصريح للوجهين اللذين ذكرناهما و السببين اللذين بيناهما و هما أخبار النبي و الأئمة الصادقين من أهل بيته صلى الله عليهم أجمعين بصحة إسلامه و حقيقة إيمانه على ما تواترت به عنهم الروايات و أسنده إليهم الثقات و إقراره بتوحيد الله تعالى و صدق رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) على ما تراه في أشعاره و تقف عليه في أخباره. و لقد كان يكفينا من الاستدلال على إيمان أبي طالب (عليه السلام) إجماع أهل بيت رسول الله صلى الله عليه و آله و عليهم أجمعين و علماء شيعتهم على إسلامه و اتفاقهم على إيمانه و لو لم يرد عنه الأفعال التي لا يفعلها إلا المؤمنون و الأقوال التي

لا يقولها إلا المسلمون ما يشهد له بصحة الإسلام و تحقيق الإيمان إذ كان إجماعهم حجة يعتمد عليها و دلالة يصمد إليها الأدلة لو لا خوف الإسهاب و كراهية الإطناب لأوردنا منها طرفا شافيا لأن ذلك بنعمة الله من لدنا ممكن غير أنها مستوفاة مبينة في غير هذا الموضع. و لأن أهل بيت النبي (عليه السلام) هم العترة التي خلفها الرسول في أمته حفظة لشريعته و تراجمة للكتاب الذي أنزل عليه حيث يقول ما أجمع عليه نقاد الآثار و رواة الأخبار : إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله و عترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا حبلان ممدودان لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض .

غير أنني أضيف إلى إجماعهم استدلالات مختصرة من الأخبار الشاهدة بصحة إيمانه و أنبه على معنى ما لعله يخفى على من لم ينعم النظر في بعض الأخبار التي أرويها و أشفع ذلك بأبيات من أشعاره التي لم تختلف العلماء في روايتها و لم يرتب أهل النقل في صحتها على ما أخبرتك و إن مر بي بيت يحتاج معناه إلى كشف كشفته و تكلمت عليه و بينته حسب الجهد و أذكر مختصرا من أفعاله مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) و إنكائه في نصرته و حضه لأولاده و عترته و أذكر الغرض الذي من أجله كتم إسلامه و أخفى إيمانه و أقصد في جميع ذلك الاختصار كراهية الملل و الإضجار فإن ذلك أحسن لشغب المعاندين و أكد في الحجة على المخالفين. و قد سميت كتابي هذا : الحجة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب

الأخبار الدالة على إيمانه :

فمن الأخبار الدالة على إيمانه المبينة لإسلامه .

ما أخبرني به الشيخ الفقيه أبو الفضل شاذان بن جبرائيل بن إسماعيل القمي رحمه الله بواسط سنة ثلاث و تسعين و خمس مائة قال أخبرني عبد الله بن عمر الطرابلسي عن القاضي عبد العزيز بن أبي كامل عن الشيخ الفقيه أبي الفتح محمد بن علي بن عثمان الكراجكي رحمه الله قال حدثني الحسن بن محمد بن علي الصيرفي البغدادي قراءة علي من طريق نقل العامة قال حدثنا أبو القاسم منصور بن جعفر بن ملاعب قراءة علي قال حدثنا أبو عيسى محمد بن داود بن جندل الجملي قال أخبرنا علي بن حرب قال حدثنا زيد بن الحباب قال أخبرنا حماد بن سلمة عن ثابت

عن إسحاق بن عبد الله عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه : أنه سأل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال ما ترجو لأبي طالب ؟

فقال : كل خير أرجو من ربي عز و جل .

فلو لا علم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بإيمان عمه أبي طالب ما كان يرجو له كل الخير من ربه تعالى مع ما أخبره الله تعالى من خلود الكفار في النار و حرمان الله تعالى لهم الخيرات و تأبيدهم في العذاب على وجه الاستحقاق و الهوان .

و بالإسناد عن الشيخ أبي الفتح الكراجكي رحمه الله قال حدثنا الشيخ الفقيه أبو الحسن محمد بن أحمد بن علي بن الحسن بن شاذان القمي رضي الله عنه قال حدثني القاضي أبو الحسين محمد بن عثمان بن عبد الله النصيبي في داره قال حدثنا جعفر بن محمد العلوي قال حدثنا عبيد الله بن أحمد قال حدثنا محمد بن زياد قال حدثنا مفضل بن عمر عن جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) عن أبيه الباقر (عليه السلام) عن علي بن الحسين (عليه السلام) عن أبيه الحسين (عليه السلام) عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام):

أنه كان جالسا في الرحبة و الناس حوله فقام إليه رجل فقال يا أمير المؤمنين إنك بالمكان الذي أنزلك الله و أبوك معذب في النار فقال مه فض الله فاك و الذي بعث محمدا بالحق نبيا لو شفع أبي في كل مذنب على وجه الأرض لشفعه الله فيهم أبي يعذب في النار و ابنه قسيم الجنة و النار و الذي بعث محمدا بالحق إن نور أبي طالب ليطفئ أنوار الخلائق إلا خمسة أنوار نور محمد و نور فاطمة و نور الحسن و نور الحسين و نور ولده من الأئمة ألا إن نوره من نورنا خلقه الله من قبل خلق آدم بألفي عام .

و بالإسناد عن الكراجكي رضي الله عنه قال أخبرني شيخي أبو عبد الله الحسين بن عبيد الله بن علي المعروف بابن الواسطي رضي الله عنه قال أخبرنا أبو محمد هارون بن موسى التلعكبري قال حدثني أبو علي بن همام قال حدثنا أبو الحسن علي بن محمد القمي الأشعري قال منجح الخادم مولى بعض الطاهرية بطوس قال حدثني أبان بن محمد قال : كتبت إلى الإمام الرضا علي بن موسى (عليه السلام) جعلت فداك إني شككت في إيمان أبي طالب .

قال فكتب : بسم الله الرحمن الرحيم و من يَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ ما تَوَلَّى إنك إن لم تقر بإيمان أبي طالب كان مصيرك إلى النار.

حديث الضحضاح :

و أخبرني بنحو من هذا الحديث السيد الإمام أبو علي عبد الحميد بن عبد الله التقي العلوي الحسيني النسابة رحمه الله بإسناده إلى الشريف النسابة المحدث أبي علي عمر بن الحسين بن عبد الله بن محمد الصوفي بن يحيى بن عبيد الله بن محمد بن عمر بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) و كان الشريف أبو علي هذا يعرف بالموضح و كان ثقة جماعا و يقال له ابن اللبن و هو كوفي معروف قال روى الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه بإسناده له : أن عبد العظيم بن عبد الله العلوي الحسني المدفون بالري كان مريضا يكتب إلى أبي الحسن الرضا (عليه السلام) عرفني يا ابن رسول الله عن الخبر المروي أن أبا طالب في ضحضاح من نار يغلي منه دماغه .

فكتب إليه الرضا (عليه السلام) : بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد ; فإنك إن شككت في إيمان أبي طالب كان مصيرك إلى النار .

و بالإسناد إلى الكراجكي عن رجاله عن أبان عن محمد بن يونس عن أبيه عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال : يا يونس ما تقول الناس في أبي طالب ؟

قلت جعلت فداك ; يقولون هو في ضحضاح من نار , و في رجليه نعلان من نار تغلي منهما أم رأسه .

فقال : كذب أعداء الله ; إن أبا طالب من رفقاء النبيين و الصديقين و الشهداء و الصالحين و حسن أولئك رفيقا .

و أخبرني بنحو من هذا الحديث الشيخ الفقيه أبو الفضل بن الحسين الحلي الأحدب قال أخبرني الشريف أبو الفتح محمد بن محمد ابن الجعفرية الحسيني قال حدثنا الشريف أبو الحسن محمد بن أحمد بن الحسن العلوي الحسيني قال حدثنا الشيخ أبو عبيد الله محمد بن أحمد بن شهريار الخازن قال حدثني والدي أبو نصر أحمد بن شهريار الخازن عن الشيخ أبي الحسن بن شاذان عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي قال حدثني أبو علي قال حدثنا الحسين بن أحمد المالكي قال حدثنا أحمد بن هلال قال حدثني علي بن حسان عن عمه عبد الرحمن بن كثير قال : قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) إن الناس يزعمون أن أبا طالب في ضحضاح من نار فقال كذبوا ما بهذا نزل جبرئيل على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قلت و بما نزل قال أتى جبرئيل في بعض ما كان عليه فقال يا محمد إن ربك يقرئك السلام و يقول لك إن أصحاب الكهف أسروا الإيمان و أظهروا الشرك فآتاهم الله أجرهم مرتين و إن أبا طالب أسر الإيمان و أظهر الشرك فأتاه الله أجره

مرتين و ما خرج من الدنيا حتى أتته البشارة من الله تعالى بالجنة ثم قال كيف يصفونه بهذا الملاعين و قد نزل جبرئيل ليلة مات أبو طالب فقال يا محمد اخرج من مكة فما لك بها ناصر بعد أبي طالب .

و أخبرني الشيخ أبو عبد الله محمد بن إدريس رحمه الله سنة ثلاث و تسعين و خمس مائة قال أخبرني الشريف أبو الحسن ابن العريضي رحمه الله قال أخبرني الحسين بن طحال المقدادي عن الشيخ أبي علي الحسن بن محمد الطوسي رحمه الله عن والده الشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي رحمه الله عن رجاله عن أبي بصير ليث المرادي قال : قلت لأبي جعفر (عليه السلام) سيدي إن الناس يقولون إن أبا طالب في ضحضاح من نار يغلي منه دماغه فقال (عليه السلام) كذبوا و الله أن إيمان أبي طالب لو وضع في كفة ميزان و إيمان هذا الخلق في كفة ميزان لرجح إيمان أبي طالب على إيمانهم ثم قال كان و الله أمير المؤمنين يأمر أن يحج عن أبي النبي و أمه و عن أبي طالب حياته و لقد أوصى في وصيته بالحج عنهم بعد مماته

موقفنا من الحديث :

فهذه الأخبار المختصة بذكر الضحضاح من نار و ما شاكلها من متخرصات ذوي الفتن و روايات أهل الضلال و موضوعات بني أمية و أشياعهم الناصبين العداوة لأهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) و هي في نفسها تدل على أن مفتعلها و المجترئ على الله بتخرصها متحامل غمر جاهل قليل المعرفة باللغة العربية التي خاطب الله بها عباده و أنزل بها كتابه لأن الضحضاح لا يعرف في اللغة إلا لقليل الماء فحيث عدل به إلى النار ظهرت فضيحته و استبان جهله و تحامله. و أيضا فإن الأمة متفقة على أن الآخرة ليس فيها نار سوى الجنة و النار فالمؤمن يدخله الله الجنة و الكافر يدخله الله النار فإن كان أبو طالب كافرا على ما يقوله مخالفنا فما باله يكون في ضحضاح من نار من بين الكفار و لم تجعل له نار وحده من بين الخلائق و القرآن متضمن أن الكافر يستحق التأبيد و الخلود في النار. فإن قيل إنما جعل في ضحضاح من نار لتربيته للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) و ذبه عنه و شفقته عليه و نصره إياه قلنا تربية النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) و الذب عنه و شفقته عليه و النصرة له طاعة لله تعالى يستحق في مقابلها الثواب الدائم فإن كان أبو طالب فعلها و هو مؤمن فما باله لا يكون في الجنة كغيره من المؤمنين و إن كان فعلها و هو كافر فإنها غير نافعة له لأن الكافر إذا فعل فعلا لله تعالى فيه طاعة لا يستحق عليه ثوابا لأنه لم يوقعه لوجهه متقربا به إلى الله تعالى من حيث إنه لم يعرف الله تعالى ليتقرب إليه فيجب أن يكون عمله غير نافع له. فما استحق أن يجعل في ضحضاح من نار فهو إما مؤمن يستحق الجنة كما نقول و إما كافر يستحق التأبيد في الدرك الأسفل من النار على وجه

الاستحقاق و الهوان كغيره من الكفار و هذا لا يقوله مخالفنا. و قد أبطلنا أن يكون في ضحضاح من نار فلم يبق إلا أن يكون في الجنة حسب ما بيناه

مصدر هذا الحديث :

و أيضا فإن هذه الأحاديث المتضمنة أن أبا طالب في ضحضاح من نار مختلفة أصلها واحد و راويها منفرد بها لأنها جميعها تستند إلى المغيرة بن شعبة الثقفي لا يروي أحد منها شيئا سواه و هو رجل ظنين في حق بني هاشم متهم فيما يرويه عنهم لأنه معروف بعداوتهم مشهور ببغضه لهم و الانحراف عنهم .

المغيرة في الميزان :

و روي عنه : أنه شرب في بعض الأيام فلما سكر قيل ما تقول في بني هاشم فقال و الله ما أردت لهاشمي قط خيرا.

و المغيرة هو الذي حسن لعائشة الخروج إلى البصرة حتى كان من أمرها ما كان بغضا لأمير المؤمنين ع.

و هو مع بغضه لبني هاشم و اشتهاره بالانحراف عنهم رجل فاسق و ثبوت فسقه معلوم عند الأمة لوجوه منها :

أنه زنى فأسقط عمر بن الخطاب الحد عنه بتلقين الشاهد الرابع و قصته مشهورة و حكايته معلومة.

أخبرنا بها الشيخ أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي الواعظ بأسانيد مرفوعة إلى عبد الرحمن بن الفسطاطي قال حدثنا مجاهد بن موسى قال حدثنا هاشم قال حدثنا عتيبة بن عبد الرحمن بن حوشي الجشمي عن أبيه عن أبي بكر قال :

لما عزل عمر بن الخطاب عتبة بن غزوان عن البصرة و بعث بالمغيرة بن شعبة غزا ميسان ففتحها و بعث أبا بكرة بشيرا بالفتح و أقام بالبصرة أميرا و قد اتخذت بها المنازل و كثر بها الناس و حسن بها حالهم ثم رجع أبو بكرة إلى البصرة قافلا من عند عمر فكان المغيرة بن شعبة يخرج كل يوم من دار الإمارة وسط النهار فيلقاه أبو بكرة فيقول أين تذهب أيها الأمير فيقول لي حاجة فيقول له ما هذه الحاجة إن الأمير يزار و لا يزور. و كانت امرأة من بني هلال بن عامر بن صعصعة يقال لها أم جميل بنت سبيعة و كان لها زوج من قومها يقال له الحجاج بن عبيد جارة لأبي بكرة فبينا أبو بكرة في غرفة له و عنده أخواه نافع و زياد و رجل آخر يقال له شبل بن معبد و غرفة الهلالية بحذاء غرفة أبي بكرة قال فضربت الريح باب غرفة جارة أبي بكرة الهلالية ففتحته فنظر القوم فإذا هم بالمغيرة بن شعبة على المرأة ينكحها قال فقال أبو بكرة لأصحابه الثلاثة

إنكم قد ابتليتم فأثبتوا الشهادة قال فنظروا حتى أثبتوا قال فنزل أبو بكرة فجلس حتى مر عليه المغيرة خارجا من عند المرأة فقال له إنه قد كان من أمرك ما قد علمت فاعتزلنا. و كتب إلى عمر بن الخطاب بالذي كان فكتب عمر إلى المغيرة و إلى الشهود جميعا أن يقدموا عليه فلما قدموا عليه صفهم و دعا أبا بكرة قبلهم فأثبت الشهادة و ذكر أنه رآه يدخل كما يدخل الميل في المكحلة و قال لكأني أنظر إلى أثر الجدري بفخذ المرأة. ثم دعا نافعا فشهد بمثل شهادة أبي بكرة و أثبتها ثم دعا شبل بن معبد فشهد بمثل شهادة نافع و أبي بكرة و أثبتها فقال عمر بن الخطاب أردى المغيرة الأربعة ثم دعا زيادا فلما أقبل قال عمر إني لأرى رجلا ما كان ليشهد اليوم إلا بحق.

و يروى : أن عمر لما رأى زيادا قال إني لأرى وجه رجل ما كان الله يخزي رجلا من المهاجرين بشهادته فقال شبل بن معبد و هو الثالث من الشهود أ فتجلد شهود الحق و تبطل الحد أحب إليك يا عمر. فقال عمر لزياد ما تقول فقال قد رأيت منظرا قبيحا و نفسا عاليا و لقد رأيته بين فخذي المرأة و لا أدري هل كان خالطها أم لا فقال عمر الله أكبر فقال المغيرة و الله أكبر الحمد لرب الفلق و الله لقد كنت علمت أني سأخرج عنها سالما فقال له عمر اسكت فو الله لقد رأوك بمكان سوء فقبح الله مكانا رأوك فيه و أمر بجلد الشهود الثلاثة.

فقال نافع أنت و الله يا عمر جلدتنا ظلما أنت رددت صاحبنا أن يشهد بمثل شهادتنا أعلمته هواك فأتبعه و لو كان تقيا كان رضاء

الله و الحق عنده آثر من رضاك. فلما جلد أبا بكرة قام و قال أشهد لقد زنى المغيرة فأراد عمر أن يجلده ثانيا فقال أمير المؤمنين علي (عليه السلام) إن جلدته رجمت صاحبك.

و هذا فقه مليح منه (عليه السلام) لأنه (عليه السلام) أراد أنه إذا جلد و تكلم كملت الشهادة أربعة فإذا كملت الشهادة وجب رجم المشهود عليه.

و روي : أن المغيرة لما مات و خرج به قومه إلى الجبانة فحين دفنوه و سووا عليه قبره أقبل راكب من ناحية البر على ناقة حتى وقف على قبر المغيرة و أنشأ يقول :

أ من رسم قبر للمغيرة يعرف ***عليه زواني الجن و الإنس تعزف

لعمري لقد لاقيت فرعون بعدنا *** و هامان فاعلم أن ذا العرش منصف

فكيف يجوز اعتقاد ما يرويه المغيرة و هذه صفته و يترك ما اتفق عليه أهل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) و شيعتهم الذين هم أهل الرواية و مظان الدراية

عودة للأخبار الدالة على إيمان أبي طالب :

و أخبرني الشيخ الفقيه أبو الفضل شاذان بن جبرئيل رحمه الله بإسناده إلى الشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي يرفعه إلى داود الرقي قال : دخلت على أبي عبد الله (عليه السلام) و لي على رجل دين و قد خفت تواه فشكوت ذلك إليه فقال (عليه السلام) إذا مررت بمكة فطف عن عبد المطلب طوافا و صل عنه ركعتين و طف عن أبي طالب طوافا و صل عنه ركعتين و طف عن عبد الله طوافا و صل عنه ركعتين و طف عن آمنة طوافا و صل عنها ركعتين و طف عن فاطمة بنت أسد طوافا و صل عنها ركعتين ثم ادع الله عز و جل أن يرد عليك مالك قال ففعلت ذلك ثم خرجت من باب الصفا فإذا غريمي واقف يقول يا داود جئني هناك فاقبض حقك .

و أخبرني شيخي أبو عبد الله محمد بن إدريس رحمه الله بإسناده إلى الشيخ الصدوق أبي جعفر الطوسي رحمه الله عن رجاله عن أبي حمزة الثمالي عن عكرمة عن ابن عباس قال : أخبرني العباس بن عبد المطلب أن أبا طالب شهد عند الموت أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله .

و بالإسناد عن الشيخ أبي جعفر عن رجاله عن حماد بن عثمان عن أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) قال : ما مات

أبو طالب حتى أعطى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من نفسه الرضا .

و بالإسناد عن حماد عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : إنا لنرى أن أبا طالب أسلم بكلام الجمل قوله (عليه السلام) لنرى معناه لنعتقد لأنه يقال فلان يرى رأي فلان أي يعتقد اعتقاده و قوله (عليه السلام) بكلام الجمل يعني الجمل الذي خاطب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) و قصته مشهورة .

و أخبرني شيخي أبو عبد الله محمد بن إدريس رحمه الله بإسناده إلى أبي جعفر الطوسي يرفعه إلى أيوب بن نوح عن العباس بن عامر القصباني عن ربيع بن محمد عن أبي سلام عن أبي حمزة عن معروف بن خربوذ عن عامر بن واثلة قال : قال علي (عليه السلام) إن أبي حين حضره الموت شهده رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فأخبرني عنه بشيء خير لي من الدنيا و ما فيها .

و أخبرني شيخنا أبو علي عبد الحميد بن التقي الحسيني رحمه الله بإسناده عن الشريف النسابة أبي علي الموضح قال أخبرنا أبو القسم الحسن السكوني قال حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا إبراهيم بن المنذر عن عبد العزيز بن عمران عن إبراهيم بن إسماعيل عن أبي حبيبة عن داود عن عكرمة عن ابن عباس قال : جاء أبو بكر إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بأبي قحافة يقوده

و هو شيخ كبير أعمى فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لأبي بكر ألا تركت الشيخ حتى نأتيه فقال أردت يا رسول الله أن يأجرني الله أما و الذي بعثك بالحق لأنا كنت أشد فرحا بإسلام عمك أبي طالب مني بإسلام أبي ألتمس بذلك قرة عينك فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) صدقت و قد روى هذا الحديث بعينه أبو الفرج الأصفهاني قال حدثنا أبو بشر قال أخبرنا العلائي عن العباس بن بكار عن أبي بكر الهذلي عن عكرمة عن أبي صالح عن ابن عباس قال : جاء أبو بكر بن أبي قحافة إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) و ذكر الحديث بطوله .

و بالإسناد عن أبي علي الموضح قال أخبرني أبو الحسن محمد بن الحسن العلوي الحسيني قال حدثنا عبد العزيز بن يحيى الجلودي قال حدثنا أحمد بن محمد العطار قال حدثنا أبو عمر حفص بن عمر بن الحرث النمري قال حدثنا عمر بن أبي زائدة عن عبد الله بن أبي الصقر عن الشعبي يرفعه عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) قال :

كان و الله أبو طالب عبد مناف بن عبد المطلب مؤمنا مسلما يكتم إيمانه مخافة على بني هاشم أن تنابذها قريش .

قال أبو علي الموضح : و لأمير المؤمنين (عليه السلام) في أبيه أبي طالب رضي الله عنه يرثيه :

أبا طالب عصمة المستجير *** و غيث المحول و نور الظلم

لقد هد فقدك أهل الحفاظ *** فصلى عليك ولي النعم

و لقاك ربك رضوانه *** فقد كنت للمصطفى خير عم

فتأمل ما ضمنه أمير المؤمنين (عليه السلام) أبياته هذه من الدعاء لأبي طالب رضي الله عنه فلو كان مات كافرا لما كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يؤبنه بعد موته و يدعو له بالرضوان من الله تعالى بل كان يذمه على قبيح فعله و سالف كفره و يفعل به كما فعل إبراهيم (عليه السلام) حيث حكى الله عنه في قوله فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ .

و بالإسناد عن أبي علي الموضح قال : تواترت الأخبار بهذه الرواية و بغيرها عن علي بن الحسين (عليه السلام) أنه سئل عن أبي طالب أ كان مؤمنا فقال (عليه السلام) نعم فقيل له إن هاهنا قوما يزعمون أنه كافر فقال (عليه السلام) وا عجبا كل العجب أ يطعنون على أبي طالب أو على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) و قد نهاه الله تعالى أن يقر مؤمنة مع كافر في غير آية من القرآن و لا يشك أحد أن فاطمة بنت أسد رضي الله عنها من المؤمنات السابقات فإنها لم تزل تحت أبي طالب حتى مات أبو طالب رضي الله عنه .

و أخبرني الصالح النقيب أبو منصور الحسن بن معية العلوي الحسني رحمه الله قال أخبرني الشيخ الفقيه أبو محمد عبد الله بن جعفر بن محمد الدوريستي عن أبيه عن جده عن الشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي عن أبيه قال حدثنا سعد بن عبد الله قال حدثنا أحمد بن أبي عبد الله الرقي عن خلف بن حماد الأسدي عن أبي الحسن العبدي عن الأعمش عن عباية بن ربعي عن عبد الله بن عباس عن أبيه قال :

قال أبو طالب للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بمحضر من قريش ليريهم فضله يا ابن أخي الله أرسلك قال نعم قال إن للأنبياء معجزا و خرق عادة فأرنا آية قال ادع تلك الشجرة و قل لها يقول لك محمد بن عبد الله أقبلي بإذن الله فدعاها فأقبلت حتى سجدت بين يديه ثم أمرها بالانصراف فانصرفت فقال أبو طالب أشهد أنك صادق ثم قال لابنه علي (عليه السلام) يا بني ألزم ابن عمك .

و أخبرني بإسناده إلى أبي الفرج الأصفهاني قال حدثني أبو محمد هارون بن موسى التلعكبري قال حدثنا أبو الحسن محمد بن علي المعمر الكوفي قال حدثنا علي بن أحمد بن مسعدة بن صدقة عن عمه عن أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) أنه قال :

كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يعجبه أن يروى شعر أبي طالب (عليه السلام) و أن يدون و قال تعلموه و علموه أولادكم فإنه كان على دين الله و فيه علم كثير .

و أخبرني الشيخ الفقيه أبو الفضل شاذان بن جبرئيل بن إسماعيل القمي رحمه الله بإسناده إلى الشيخ أبي الفتح الكراجكي قال حدثني أبو الحسن طاهر بن موسى بن جعفر الحسيني قال حدثنا أبو القاسم ميمون بن حمزة الحسيني قال حدثنا مزاحم بن عبد الوارث البصري قال حدثنا أبو بكر عبد العزيز بن عبد الرحمن بن أيوب الجوهري قال حدثنا العباس بن علي قال حدثنا علي بن عبد الله الحرشي قال حدثنا جعفر بن عبد الواحد بن جعفر قال قال لنا العباس بن الفضل عن إسحاق بن عيسى بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب قال سمعت أبي يقول سمعت المهاجر مولى بني نوفل اليماني يقول سمعت أبا رافع يقول سمعت أبا طالب بن عبد المطلب يقول : حدثني محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أن ربه بعثه بصلة الرحم و أن يعبد الله وحده و لا يعبد معه غيره و محمد عندي الصادق الأمين .

و حدثني بهذا الحديث من غير هذه الطريق الشيخ أبو الفتوح نصر بن علي بن منصور الخازن النحوي الحائري رحمه الله بمدينة السلام سنة تسع و تسعين و خمسمائة قال أخبرني الشيخ أبو القاسم ذاكر بن كامل بن أبي غالب في شهر ربيع الأول سنة إحدى و تسعين و خمس مائة قراءة عليه و أنا أسمع قال أخبرنا أبو

الحسن علي بن أحمد الحداد إجازة قال أخبرنا أبو نعيم أحمد بن عبد الله الحافظ قال حدثنا أبو بكر أحمد بن فارس

البرقعيدي بها قال حدثنا جعفر بن عبد الواحد القاضي قال قال لنا محمد بن عباد عن إسحاق بن عيسى عن مهاجر مولى بني نوفل قال سمعت أبا رافع يقول سمعت أبا طالب يقول : حدثني محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أن الله أمره بصلة الأرحام و أن يعبد الله وحده و لا يعبد معه غيره و محمد عندي الصدوق الأمين .

و أخبرنا به أيضا بطريق آخر شيخنا الفقيه أبو عبد الله محمد بن إدريس رحمه الله بإسناده إلى أبي الفرج الأصفهاني قال حدثني أبو بشر أحمد بن إبراهيم عن هارون بن عيسى الهاشمي عن جعفر بن عبد الواحد الهاشمي قاضي قضاة البصرة بالثغر عن العباس بن الفضل الهاشمي عن إسحاق بن عيسى الهاشمي عن أبيه قال سمعت المهاجر مولى بني نوفل يقول سمعت أبا رافع يقول سمعت أبا طالب يقول : حدثني محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إن ربه بعثه بصلة الأرحام و أن يعبد الله وحده لا شريك له لا يعبد سواه و محمد الصدوق الأمين .

و أخبرني السيد النقيب أبو جعفر يحيى بن أبي زيد العلوي الحسني النقيب البصري بمدينة السلام سنة أربع و ستمائة قال أخبرني والدي محمد بن محمد بن أبي زيد النقيب الحسني البصري قال أخبرني تاج الشرف محمد بن محمد بن أبي الغنائم المعروف بابن السخطة العلوي الحسيني البصري النقيب قال أخبرني الشريف الإمام العالم أبو الحسن علي بن محمد الصوفي العلوي العمري النسابة المشجر المعروف قال حدثنا أبو عبد الله الحسين بن أحمد البصري عن أبي الحسين يحيى بن محمد الحضيني المدني قال رأيته بالمدينة سنة ثمانين و ثلاثمائة عن أبيه عن أبي علي بن همام رضي الله عنه عن جعفر بن محمد الضراري عن عمران بن معافى عن صفوان بن يحيى عن عاصم بن حميد عن أبي بصير عن محمد بن علي الباقر (عليه السلام) أنه قال : مات أبو طالب بن عبد المطلب مسلما مؤمنا و شعره في ديوانه يدل على إيمانه ثم محبته و تربيته و نصرته و معاداة أعداء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) و موالاة أوليائه و تصديقه إياه فيما جاء به من ربه و أمره لولديه علي و جعفر بأن يسلما و يؤمنا بما يدعو إليه و أنه خير الخلق وأنه يدعو إلى الحق و المنهاج المستقيم و أنه رسول الله رب العالمين فثبت ذلك في قلوبهما فحين دعاهما رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أجاباه في الحال و ما تلبثا لما قد قرره أبوهما عندهما من أمره فكانا يتأملان أفعال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيجدانها كلها حسنة تدعو إلى سداد و رشاد

و حسبك إن كنت منصفا منه هذا أن يسمح بمثل علي و جعفر ولديه و كانا من قبله بالمنزلة المعروفة المشهورة لما يأخذان به أنفسهما من الطاعة له و الشجاعة و قلة النظير لهما أن يطيعا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيما يدعوهما إليه من دين و جهاد و بذل أنفسهما و معاداة من عاداه و موالاة من والاه من غير حاجة إليه لا في مال و لا في جاه و لا غيره لأن عشيرته أعداؤه و المال فليس له مال فلم يبق إلا الرغبة فيما جاء به من ربه. فهذا الحديث مروي عن الإمام أبي جعفر الباقر (عليه السلام) فلقد بين حال أبي طالب فيه أحسن تبيين و نبه على إيمانه أجل تنبيه و لقد كان هذا الحديث وحده كافيا في معرفة إيمان أبي طالب أسكنه الله جنته و منحه رحمته لمن كان منصفا لبيبا عاقلا أديبا. .

و قد كنت سمعت جماعة من أصحابنا العلماء مذاكرة يروون عن الأئمة الراشدين من آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أنهم : سئلوا عن قول النبي المتفق على روايته المجمع على صحته : أنا و كافل اليتيم كهاتين في الجنة .

فقالوا : أراد بكافل اليتيم , عمه أبا طالب ; لأنه كفله يتيما من أبويه و لم يزل شفيقا حدبا عليه.

فهذه الأخبار التي اقتصرنا على روايتها و تحببنا الإطالة في كثرتها عند رواة الأخبار معروفة و بين حملة الآثار مشهورة و على إيمان أبي طالب أهدى دليل و إلى معرفة إسلامه أوضح سبيل .

الفصل الثاني

جهل و تضليل :

و أما ما ذكره المخالفون و رواه المتحاملون من أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يحب عمه أبا طالب رضي الله عنه و يريد منه أن يؤمن به و هو لا يجيبه إلى ذلك فأنزل الله تعالى في شأنه إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَ لكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ ... الآية فإنه جهل بأسباب النزول و تحامل على عم الرسول لأن هذه الآية لنزولها عند أهل العلم سبب معروف و حديث مأثور و ذلك السبب الأول أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ضرب بحربة في خده يوم حنين فسقط إلى الأرض ثم قام و قد انكسرت رباعيته و الدم يسيل على حر وجهه فمسح وجهه ثم قال اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون فأنزل الله تعالى إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ... الآية فنحوها إلى أبي طالب رحمه الله تحاملا عليه و توجيها للشبهة إليه و وقعة حنين كانت بعد هجرة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بثلاث سنين و الهجرة كانت بعد موت أبي طالب بثلاث سنين و أربعة أشهر فيا لله و للمسلمين نزلت على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) آية على رأس ست سنين و أربعة أشهر من متوفى أبي طالب في قوم مخصوصين فجعلوها فيه ليتم لهم ما يريدون من كفره و يستقيم لهم ما يبغون من شركه يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُا نُورَ اللَّهِ بِأَفْواهِهِمْ وَ يَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَ لَوْ كَرِهَ الْكافِرُونَ

مع الآية مرة أخرى :

و قد روي : لنزول الآية سبب آخر و هو السبب الثاني إن قوما ممن كانوا أظهروا الإسلام و الإيمان بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) تأخروا عنه عند هجرته و أقاموا بمكة و أظهروا الكفر و الرجوع إلى ما كانوا عليه فبلغ خبرهم إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) و المسلمين فأختلفوا في تسميتهم بالإيمان فقال فريق من المسلمين هم مؤمنون و إنما أظهروا الكفر اضطرارا إليه و قال آخرون بل هم كفار و قد كانوا قادرين على الهجرة و الإقامة على الإيمان و اجتمعوا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) و كان أشراف القوم يريدون منه أن يحكم لهم بالإيمان لأرحام بينهم و بينهم فأحب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن ينزل ما يوافق محبة الأشراف إيثارا لتألفهم فلما سألوه عن حالهم قال (صلى الله عليه وآله وسلم) يأتيني الوحي في ذلك فأنزل الله إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَ لكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ

يَشاءُ يريد إنك لا تحكم و تسمي و تشهد بالإيمان لمن أحببت و لكن الله يحكم له و يسميه إذا كان مستحقا له. فهذان السببان قد وردا في نزول هذه الآية و كلاهما إنما كان بعد موت أبي طالب لأنها إن كانت نزلت يوم حنين فوقعة حنين كانت في شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة على ما بيناه و أبو طالب بلا خلاف مات قبل الهجرة و موته كان السبب في الهجرة لأن الأمة روت أن جبرئيل (عليه السلام) هبط إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ليلة مات أبو طالب فقال له أخرج من مكة فما بقي لك بها ناصر بعد أبي طالب. و إن كانت نزلت في الذين تأخروا عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على ما تقدم القول فيه فهي أيضا نزلت بعد موت أبي طالب (عليه السلام) لأن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هاجر عن مكة يوم الاثنين في شهر ربيع الآخر على رأس ثلاث سنين من متوفى أبي طالب.

و أيضا : هذه الآية إذا تأملها المنصف تبين له أن نزولها في أبي طالب باطل من وجوه. الوجه الأول أنه لا يجوز في حكمة الله تعالى أن يكره أحدا من عباده على الهدى و لا يحب له الضلال كما لا يجوز في حكمته أن يأمر بالضلال و ينهى عن الهدى و الرشاد. الوجه الثاني أنه إذا كان الله تعالى قد أخبر في كتابه أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يحب عمه أبا طالب في قوله إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ فقد ثبت حينئذ أن أبا طالب كان مؤمنا لأن الله تعالى قد نهى عن حب الكافرين في قوله لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ يُوادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ لَوْ كانُوا آباءَهُمْ أَوْ أَبْناءَهُمْ أَوْ إِخْوانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ... الآية. فمعنى يوادون يحبون يقال وددت فلانا أوده ودا إذا أحببته و النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يجوز أن يرتكب ما نهاه الله عنه من حب الكفار فثبت أن أبا طالب إذا كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يحبه بحسب الآية مؤمن على ما ذكرناه.

الوجه الثالث : أنه إذا ثبت أن هذه الآية نزلت في أبي طالب فهي دالة على فضل أبي طالب و علو مرتبته في الإيمان و الهداية و ذلك أن هداية أبي طالب كانت بالله تعالى دون غيره من خلقه و هو كان المتولي لها حتى سبق بها الداعي له و كان تقديره أن أبا طالب الذي تحبه لم تهده أنت يا محمد بنفسك بل الله الذي تولى هدايته فسبقت هدايته الدعوة له. فهذا يوضح ما ذكرناه و يؤيد ما قدمناه من فساد القول بالخبر و بطلان قول من زعم أن نبي الهدى (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يحب الكافرين مع النهي عن ذلك و بالله التوفيق

أمر النبي بميراث أبي طالب :

و أما ما رواه أيضا من أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أمر أمير المؤمنين و أخاه جعفرا (عليه السلام) عند موت أبي طالب أن لا يأخذا من تركته شيئا و أخذها طالب و عقيل من دونهما لأن طالبا و عقيلا

لم يؤمنا يومئذ فحديث مصنوع و كذب موضوع على غير أصل ثابت. و ذلك لأن بني هاشم قد اشتهر عنهم و عرف من مذهبهم أن المسلم يرث الكافر و أن الكافر لا يرث المسلم و يقولون إن الكافر إذا خلف وارثين أحدهما كافر مثله و الآخر مسلم يكون ميراثه للمسلم دون الكافر و لو كان الكافر أعلى درجة من المسلم في النسب و مذهبهم هذا هو الموافق لكتاب الله تعالى و سنة نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) أما كتاب الله فقوله تعالى يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ و قوله تعالى وَ لَكُمْ نِصْفُ ما تَرَكَ أَزْواجُكُمْ و قوله تعالى لِلرِّجالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوالِدانِ وَ الْأَقْرَبُونَ و ما شاكل ذلك من آيات المواريث لأن ظواهر هذه الآيات مقتضية أن الكافر كالمسلم في الميراث فلما أجمعت الأمة على أن الكافر لا يرث المسلم أخرجوه بهذا الدليل الموجب للعلم و بقي ميراث المسلم للكافر

بحسب الظاهر كميراث المسلم للمسلم و أما السنة فاتفاق أهل البيت (صلى الله عليه وآله وسلم) و إجماعهم على أن المسلم يرث الكافر و أن الكافر لا يرث المسلم و إجماعهم (صلى الله عليه وآله وسلم) حجة قاطعة و دلالة فأصله لأدلة صحيحة لو لا الخروج عما نحن بصدده ذكرناها هاهنا غير أنها مشروحة مبينة في تصانيف أصحابنا فمن أرادها وقف عليها

و قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : الإسلام يعلو و لا يعلى

و قوله (عليه السلام) : الإسلام يزيد و لا ينقص , و ما شاكل ذلك.

فأما ما تعلق به المخالف من الحديث الذي يروى .

عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من قوله : لا توارث بين أهل ملتين

فإنا نقول بموجبه لأن التوارث تفاعل و هو مقتضى أن يكون كل واحد يرث صاحبه و إذا ذهبنا إلى أن المسلم يرث الكافر فما أثبتنا بينهما توارثا أ لا ترى أن العرب إذا ضرب زيد عمرا لا يقولون تضارب زيد و عمرو و إنما يقولون ضرب زيد عمرا فإذا ضرب كل واحد منهما صاحبه قالوا تضارب زيد و عمرو فعلى هذا صح لنا العمل بالخبر المذكور.

و قد روى المخالفون القول بموافقة أهل البيت (عليهم السلام) في ذلك عن علي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام) و محمد بن الحنفية رضي الله عنه و محمد بن علي الباقر (عليه السلام) و مسروق بن

الأجدع و عبد الله بن مفضل و سعيد بن المسيب و يحيى بن يعمر و معاذ بن جبل و معاوية بن أبي سفيان :

فثبت أن هذه الأخبار المختلفة الباطلة المفتعلة غير ضائرة لأبي طالب رحمه الله و إنما يعود ضررها و وبالها و وزرها و عقابها على الذين تخرصوها و افتروها و انتحلوها جرأة على الله و تهاونا برسول الله و أنها و إن جلدوها في صحائفهم و قصوها في مجامعهم .

تخرصا و أحاديثا ملفقة * ليست بنبع إذا عدت و لا غرب**

الفصل الثالث

حب الرسول لعمه أبي طالب :

و أما حب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لعمه أبي طالب و ميله إليه و تحننه فأبين من فرق الصبح و أوضح من الضحى .

أخبرني السيد عبد الحميد بن التقي الحسيني قراءة عليه سنة أربع و سبعين و خمس مائة قال أخبرني الشريف النسابة أبو تمام هبة الله بن عبد السميع عبد الصمد الهاشمي العباسي قال أخبرني الشريف أبو عبد الله جعفر بن هاشم بن علي بن محمد بن الصوفي عن جده أبي الحسن علي بن محمد الصوفي العلوي العمري النسابة الفاضل العالم المعروف قال روى الشريف الفاضل المحدث أبو محمد الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) و كان أبو محمد الشريف المحدث يعرف بالدنداني عن جده يحيى بن الحسن الشريف العالم الناسب المدني يرفعه إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : أنه قال لعقيل بن أبي طالب أنا أحبك يا عقيل حبين حبا لك و حبا لأبي طالب لأنه كان يحبك

فيا ليت شعري إذا كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يحب عقيلا لحب أبي طالب فما ظنك بأبي طالب و حبه إياه رضي الله عنه و أرضاه

الفاقة تغزو أبا طالب :

و مما اشتهر عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من الرقة على عمه أبي طالب و الإيثار لصلاحه و الحب لفلاحه ما أخبرني به الشيخ الفقيه أبو الفضل شاذان بن جبرائيل رحمه الله بإسناده المذكور إلى الشيخ أبي الفتح الكراجكي رحمه الله يرفعه قال أصابت قريش أزمة مهلكة و سنة مجدبة منهكة و كان أبو طالب رضي الله عنه ذا مال يسير و عيال كثير فأصابه ما أصاب قريشا من العدم و الإضاقة و الجهد و الفاقة فعند ذلك دعا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عمه العباس فقال له يا أبا الفضل إن أخاك كثير العيال مختل الحال ضعيف النهضة و العزمة و قد نزل به ما نزل من هذه الأزمة و ذوو الأرحام أحق بالرفد و أولى بحمل الكل في ساعة الجهد فانطلق بنا إليه لنعينه على ما هو عليه فلنحمل عنه بعض أثقاله و نخفف عنه من عياله يأخذ كل واحد منا واحدا من بنيه ليسهل ذلك عليه بعض ما ينوء فيه فقال العباس نعم ما رأيت و الصواب فيما أتيت

هذا و الله الفضل الكريم و الوصل الرحيم فلقيا أبا طالب فصبراه و لفضل آبائه ذكراه و قالا له إنا نريد أن نحمل عنك بعض المال فادفع إلينا من أولادك من تخف عنك به الأثقال فقال أبو طالب إذا تركتما لي عقيلا و طالبا فافعلا ما شئتما فأخذ العباس جعفرا و أخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عليا فانتخبه لنفسه و اصطفاه لمهم أمره و عول عليه في سره و جهره و هو مسارع لمرضاته موفق للسداد في جميع حالاته. و قد روي من طريق آخر أن العباس بن عبد المطلب أخذ جعفرا و أخذ حمزة طالبا و أخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عليا.

و روي من طريق آخر : أن أبا طالب قال للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) و العباس حين سألاه ذلك إذا خليتما لي عقيلا فخذا من شئتما و لم يذكر طالبا كل ذلك قد روي و أما القصة فمتفق عليها. فانظر إلى هذه الرقة من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على أبي طالب و الحب له و الشفقة عليه و قد وصف الله المؤمنين بالشدة على الكافرين حيث يقول أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَماءُ بَيْنَهُمْ و قال عز من قائل أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكافِرِينَ و النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أفضل المؤمنين و سبيل الأولين و الآخرين فكيف يجوز لمسلم أن يصف أبا طالب بالكفر و يرميه بالشرك و قد اشتهر عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الميل إليه و الانعطاف عليه فمن قطع على أبي طالب بالكفر فقد وصف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بما لا يجوز عليه و نسبه إلى ما لا يجوز أن ينسب إليه من الحب للكافرين و الميل إلى الجاحدين. فإن قيل إنما كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يميل إليه و يحنو عليه لقرب رحمه منه و تربيته له قلنا تحريم المودة للكافرين عام يتناول القرباء كما يتناول البعداء فلا يجوز تخصيصه بقوم دون قوم إلا بدليل و ما إلى الدليل من سبيل .

الفصل الرابع

خطبة أبي طالب في زواج النبي :

و أخبرنا شيخنا عبد الحميد بن التقي الحسيني بإسناده إلى الشريف النسابة الفاضل أبي الحسن علي بن محمد بن الصوفي العلوي العمري رحمه الله قال حدثني أبو علي الحسن بن دانيال البصري رحمه الله قال حدثنا أبو الحسن علي بن سعيد الإربلي قال حدثنا أبو علي الأرجاني شيخ ورد إلينا البصرة كثير الحفظ قال حدثنا أبو العباس المبرد.

وقال حدثت : أن أبا طالب بن عبد المطلب خطب لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في تزويجه خديجة بنت خويلد فقال الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم و زرع إسماعيل و جعل لنا بلدا حراما و بيتا محجوجا و جعلنا الحكام على الناس ثم إن محمد بن عبد الله أخي من لا يوازن به فتى من قريش إلا رجح عليه برا و فضلا و حزما و عقلا و مجدا و نبلا و إن كان في المال قل فإنما المال ظل زائل و عارية مسترجعة و له في خديجة بنت خويلد رغبة و لها فيه مثل ذلك و ما أحببتم من الصداق فعلي و له و الله خطب جليل و نبأ شائع. فانظر إلى ما تضمنت هذه الخطبة من العصبية لسيد البشر (صلى الله عليه وآله وسلم) و المدح له و المعرفة لفضله و الاعتراف بأن له (صلى الله عليه وآله وسلم) خطبا جليلا و نبأ شائعا فيا ليت شعري ما الذي يبعثه على الكفر به بعد معرفة خطبه الجليل و نبئه الشائع و هو من أولي الألباب الذين آتاهم الله فصل الخطاب

أشعار أبي طالب الدالة على إيمانه :

و نذكر هنا طرفا من أشعاره الدالة على إيمانه و جملا من أفعاله المحققة لإسلامه و ما أشبه ذلك من نصره لنبي الله (صلى الله عليه وآله وسلم) و منابذته لأعداء الله فمن ذلك ما رواه أبان و الأموي و الواقدي و غيرهم من حملة الآثار و رواة الأشعار من قوله رضي الله عنه يحذر قريشا الحرب و ينعى عليهم توازرهم على تكذيب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) و ينبههم على صحة نبوته و يؤذنهم بنصر عترته فمن أشعاره قوله :

ألا من لهم آخر الليل معتم *** طواني و أخرى النجم لم يتقحم

طواني و قد نامت عيون كثيرة *** و سامر أخرى ساهر لم ينوم

لأحلام قوم قد أرادوا محمدا *** بظلم و من لا يتقي البغي يظلم

سعوا سفها و اقتادهم سوء أمرهم *** على خائل من رأيهم غير محكم

رجاء أمور لم ينالوا انتظامها *** و لو حشدوا في كل بدو و موسم

يرجون منه خطة دون نيلها *** ضراب و طعن بالوشيج المقوم

يرجون أن نسخى بقتل محمد *** و لم تختضب سمر العوالي من الدم

كذبتم و بيت الله حتى تفلقوا *** جماجم تلقى بالحطيم و زمزم

و تقطع أرحام و تنسى حليلة *** حليلا و يغشى محرم بعد محرم

هم الأسد أسد الزأرتين إذا غدت *** على حنق لم تخش إعلام معلم

فيا لبني فهر أفيقوا و لم تقم *** نوائح قتلي تدعى بالتندم

على ما مضى من بغيكم و عقوقكم *** و إتيانكم في أمركم كل مأثم

و ظلم نبي جاء يدعو إلى الهدى *** و أمر آتى من عند ذي العرش قيم

فلا تحسبونا مسلميه و مثله *** إذا كان في قوم فليس بمسلم

فهذي معاذير و تقدمة لكم *** لئلا تكون الحرب قبل التقدم

أ فلا يرى ذو اللب إلى جزلة هذا الشعر و قوته و جد قائله رضي الله عنه و تشميره في نصرة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) و الشهادة له بالنبوة و الإقرار بما جاء به من عند الله تعالى فيعتبر أم على قلوب أقفالها. في حديث الصحيفة و لما سمع المشركون هذا القول من أبي طالب و ما أشبهه و رأوا قيام بني هاشم معه في نصره سعوا بينهم و اجتمعوا و قالوا ننافي بني هاشم و نكتب صحيفة و نودعها الكعبة أن لا نبايعهم و لا نشاريهم و لا نحدثهم و لا نستحدثهم و لا نجتمع معهم في مجمع و لا نقضي لهم حاجة و لا نقتضيها منهم و لا نقتبس منهم نارا حتى يسلموا إلينا محمدا و يخلو بيننا و بينه أو ينتهي عن تسفيه آبائنا و تضليل آلهتنا و أجمع كفار أهل مكة على ذلك. و علم أبو طالب بهذه الحال فقال يستعطفهم و يحذرهم الحرب و قطيعة الرحم و ينهاهم عن اتباع السفهاء و يعلمهم استمراره على مؤازرة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) و ينبههم على فضله و يضرب لهم المثل بناقة صالح و يذكر أمر الصحيفة.

ألا أبلغا عني على ذات بينها *** لؤيا و خصا من لؤي بني كعب

أ لم تعلموا أنا وجدنا محمدا *** نبيا كموسى خط في أول الكتب

و أن عليه في العباد محبة و *** لا حيف فيمن خصه الله بالحب

و أن الذي لفقتم في كتابكم *** يكون لكم يوما كراغية السقب

أفيقوا أفيقوا قبل أن تحفر الزبى *** و يصبح من لم يجن ذنبا كذي الذنب

و لا تتبعوا أمر الغواة و تقطعوا *** أواصرنا بعد المودة و القرب

و تستجلبوا حربا عوانا و ربما *** أمر على من ذاقه حلب الحرب

فلسنا و بيت الله نسلم أحمدا *** لعزاء من عض الزمان و لا حرب

و لما تبن منا و منكم سوالف *** و أيد أبيرت بالمهندة الشهب

بمعترك ضنك ترى كسر القنا به *** و الضباع العرج تعكف كالسرب

كان مجال الخيل في حجراته *** و غمغمة الأبطال معركة الحرب

أ ليس أبونا هاشم شد أزره *** و أوصى بنيه بالطعان و بالضرب

انظر إلى هذا الإقرار الصريح من أبي طالب رحمه الله بأن محمدا نبي كموسى خط في أول الكتب فهذا البيت يدل على إيمانه من وجوه منها إيمانه بنبوة محمد ص. و منها إيمانه بكتب الله تعالى التي لا يعرفها إلا المؤمنون. و منها معرفته بموسى بن عمران (عليه السلام) و قوله و لا حيف فيمن خصه الله بالحب يريد بالنبوة منه و الاختيار و هذا الشعر إذا تأمله المنصف رآه محض الإقرار بالنبوة و الاعتراف بالرسالة.

و أما الصحيفة التي كتبتها قريش بالقطيعة فإن الله تعالى أرسل إليها دابة من الأرض فأكلت ما كان فيها من قطيعة و عقوق و أبقت ما كان فيها من باسمك اللهم فأعلم جبرئيل (عليه السلام) رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بحالها و أعلم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أبا طالب (عليه السلام) أن الله قد محا ما في الصحيفة من فجور و عقوق و لم يبق فيها إلا ما كان من باسمك اللهم فجذل أبو طالب بذلك و جاء إلى قريش فقال إن الله قد محا ما في الصحيفة من فجور و عقوق فقالوا إن كان ما تقوله زورا و تمويها قد أنبأك به محمد ليضل به قومه

فقال إذن أشايعكم في بعض شأنكم فمضوا و مضى معهم إلى الكعبة فوجدوها قد محيت إلا ما كان فيها من باسمك اللهم فقالوا هذا سحر فعله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) و زادهم طغيانا و نفورا. فقال أبو طالب رحمه الله يذكر أمر الصحيفة و يهجو الذين سعوا فيها و قرروا أمرها :

أرقت و قد تصوبت النجوم *** و بت و لا تسالبك الهموم

لظلم عشيرة ظلموا و عقوا *** و غب عقوقهم لهم وخيم

هم انتهكوا المحارم من أخيهم *** و كل فعالهم دنس ذميم

و قالوا خطة جورا و ظلما *** و بعض القول أبلج مستقيم

لنخرج هاشما فتصير منها *** بلاقع بطن مكة و الحطيم

فمهلا قومنا لا تركبونا *** بمظلمة لها أمر عظيم

فيندم بعضكم و يذل بعض *** و ليس بمفلح أبدا ظلوم

أرادوا قتل أحمد ظالميه *** و ليس لقتله منهم زعيم

و دون محمد منا ندي *** هم العرنين و العضو الصميم

و هي قصيدة أسقطنا منها شطرا كراهية التطويل.

و قال أيضا :

لمن أربع أقوين بين القدائم *** أقمن بمدحاة الرياح الرمائم

تعاللت عيني بالبكاء و خلتني *** ترفعت دمعي يوم بين الأصارم

و كيف بكائي في طلول و قد عفت *** لها حقب قد فارقت أم عاصم

غفارية حلت ببولان حلة *** فينبع أو حلت بهضب الصرائم

فدعها فقد شطت به غربة النوى *** و شعث لشت الحي غير ملائم

و بلغ على الشحناء أفناء غالب *** لويا و تيما عند نصر العزائم

أ لم تعلموا أن القطيعة مأثم *** و أمر بلاء قائم غير حازم

و أن سبيل الرشد يعرف في غد *** و أن نعيم اليوم ليس بدائم

فقوله ; و أن سبيل الرشد يعرف في غد ; يريد في يوم القيامة .

و قوله ; و أن نعيم اليوم ليس بدائم ; يريد نعيم الدنيا ليس بدائم و نعيم الآخرة دائم.

و هذا إذا تأمله منصف رآه إقرارا صريحا من أبي طالب رضي الله عنه بجميع ما جاء به النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من القيامة و البعث و النشور و الثواب و العقاب و غير ذلك من أمور الآخرة أ لا ترى إلى قوله أن القطيعة مأثم و الإثم هو ما يجازى عليه في الآخرة. .

و قد روي : أن رجلا من قريش يقال له أمية بن خلف الجمحي جاء إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بعظم نخر فسحقه في وجهه و قال

أنت تزعم يا محمد إن هذا العظم يعود حيا تكذيبا لما جاء به الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فأنزل الله فيه وَ ضَرَبَ لَنا مَثَلًا وَ نَسِيَ خَلْقَهُ قالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظامَ وَ هِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَها أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ هُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ

و أبو طالب (عليه السلام) قد صرح في هذه الأبيات و غيرها بالإقرار بالبعث بخلاف ما عند القوم. ثم قال :

فلا تسفهوا أحلامكم في محمد *** و لا تتبعوا أمر الغواة الأشائم

يمنونكم أن تقتلوه و إنما *** أمانيكم تلكم كأحلام نائم

فإنكم و الله لا تقتلونه *** و لما تروا قطف اللحي و الجماجم

و لم تصر الأموات منكم ملاحما *** تحوم عليه الطير بعد ملاحم

و ندعو بأرحام أواصر بيننا *** و قد قطع الأرحام وقع الصوارم

و نسموا بخيل نحو خيل تحثها *** إلى الروع أولاد الكماة القماقم

أ خلتم بأنا مسلمون محمدا *** و لما نقاذف دونه و نزاحم

من القوم مفضال أبي على العدى *** تمكن في الفرعين من آل هاشم

أمين محب في العباد مسوم *** بخاتم رب قاهر للخواتم

يرى الناس برهانا عليه و هيبة *** و ما جاهل في فعله مثل عالم

نبي أتاه الوحي من عند ربه *** فمن قال لا يقرع بها سن نادم

تطيف به جرثومة هاشمية *** تدافع عنه كل عات و ظالم

أ لا ترى يا ذا الحلم الرصين و العقل الركين إلى هذا الإقرار بالنبوة و توحيد الرب جلت عظمته في قوله أتاه الوحي من عند ربه و من أين يعرف الكفار الوحي ثم يقول في هذه الأبيات فمن قال :

لا يقرع بها سن نادم

يريد أن من لا يقر بنبوة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) يندم إذا شاهد عذاب الله تعالى و قوله :

محب في العباد مسوم

يريد أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) موسوم بخاتم النبوة الذي كان بين كتفيه و قلما ذكره (صلى الله عليه وآله وسلم) أحد من شعراء المسلمين في شعر إلا و ذكر قريشا و دعاءهم إلى الإسلام و ذكر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بذلك. فمن ذلك قول الشاعر :

و آمنوا بنبي لا أبا لكم *** ذي خاتم صاغه الرحمن مختوم

و من ذلك قول عبد الله بن الزبعري للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حين أسلم بعد العداوة و المضاغنة و المباينة و المكاشفة :

و عليك من نور الإله دلالة *** وجه أغر و خاتم مختوم

فهل فوق هذا الإقرار إقرار و بعد هذا الإيمان إيمان ?! و هل يسع مسلما يسمع هذا الإقرار بنبوة محمد المختار (صلى الله عليه وآله وسلم) من أحد من الكفار و لا يجرى عليه أحكام المسلمين و يخرجه من جملة الكافرين ? و إن لم يكن في الإسلام ذا بلاء عظيم و عناء جسيم.

و قال أيضا يذكر أمر الصحيفة الذي ذكرناه :

ألا من لهم آخر الليل منصب *** و شعب العصا من قومك المتشعب

و جربي أراها من لؤي بن غالب *** متى ما تزاحمها الصحيحة تجرب

و قد كان في أمر الصحيفة عبرة *** متى ما يخبر غائب القوم يعجب

محا الله منها كفرهم و عقوقهم * و ما نقموا من معرب الخط معرب**

فأصبح ما قالوا من الأمر باطلا * و من يختلق ما ليس بالحق يكذب**

فأمسى ابن عبد الله فينا مصدقا * على سخط من قومنا غير متعب**

و هل يكون إقرار بالرسالة أو إيمان بالنبوة أبلغ من قوله المتقدم :

فأمسى ابن عبد الله فينا مصدقا * ...**

و لكن العناد يمنع من اتباع الحق و يصد عن قول الصدق :

فلا تحسبونا مسلمين محمدا * لذي غربة فينا و لا متقرب**

ستمنعه منا يد هاشمية * مركبها في الناس خير مركب**

فلا و الذي تحدي إليه قلائص * لأدراك نسك من منى و المحصب**

نفارقه حتى نصرع حوله * و ما بال تكذيب النبي المقرب**

فكفوا إليكم من فضول حلومكم * و لا تذهبوا في رأيكم كل مذهب**

فيا سبحان الله من يكون بمنزلة أبي طالب رحمه الله من البصيرة في الأمور و العقل الغزير و يعلم أن محمدا (صلى الله عليه وآله وسلم) نبي مقرب و يقر له بذلك في شعره كيف يتقدر منه أن يكفر به ؟

إن هذا لهو العناد العادل عن الرشاد .

و شعر أبي طالب حشره الله مع ذريته و أسكنه بحبوحة جنته في أمر الصحيفة كثير لا يبلغ مداه و لا يحصر منتهاه و إنما أثبتنا منه نبذة وجيزة و أبياتا قليلة كراهية الإطناب المعقب للإسهاب.

و لما كتبت قريش الصحيفة و نفوا بنو هاشم جميعهم إلى الشعب المعروف بشعب أبي طالب إلا أبا لهب و أبا سفيان بن الحرث بن عبد المطلب

بن هاشم لأنهما كانا يشايعان قريشا و يتفقان على مباينة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فأما أبو لهب فإن الله أهلكه كافرا و أنزل فيه تعالى ما هو معلوم

أبو سفيان بن الحرث يعلن إسلامه :

و أما أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب فإنه أسلم عام الفتح و حسن إسلامه .

و قال له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم أسلم : الصيد كله في جوف الفرا .

قرأت على شيخنا عميد الرؤساء ابن أيوب اللغوي قال أخبرني الشيخ أبو الحسن علي بن عبد الرحيم السلمي اللغوي البغدادي قال قرأت على الشيخ الإمام أبي محمد عبد الله بن علي بن محمد المقري قال أخبرنا أبو منصور محمد بن أحمد بن أحمد بن الحسين بن عبد الله العكرواني قال أخبرنا أبو الصلت محمد بن أحمد بن الحسين بن خاقان قال حدثنا أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي يرفعه , قال : الصيد كله في جوف الفرا .

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لأبي سفيان بن الحرث و ابنه المغيرة حين جاء مسلما , اجلس : فالصيد كله في جوف الفرا

و من لا تحقيق له من الرواة يتوهم أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال ذلك لأبي سفيان بن الحرب بن أمية بن عبد شمس و الصحيح ما قدمناه و كان أبو سفيان بن الحرث امرأ صدق خيرا ثقة .

أبو طالب يحذر أعداء الرسول :

و قال أبو طالب ينعى على قريش القطيعة و يحذرهم الحرب :

تطاول ليلي لأمر نصب * و دمع كسح السقاء السرب**

للعب قصي بأحلامها * و هل يرجع الحلم بعد اللعب**

و قالوا لأحمد أنت امرؤ * خلوف الحديث ضعيف السبب**

و إن كان أحمد قد جاءهم * بصدق و لم يأتهم بالكذب**

و نفي قصي بني هاشم * كنفي الطهاة لطاف الخشب**

على أن إخواننا وازروا * بني هاشم و بني المطلب**

فيا لقصي أ لم تخبروا * بما قد خلا من شئون العرب**

و رمتم بأحمد ما رمتم * على الآصرات و قرب النسب**

فإني و من حج من راكب * و كعبة مكة ذات الحجب**

تنالون أحمد أو تصطلوا *** ظباة الرماح و حد القضب

و تعترفوا بين أبياتكم *** صدور العوالي و خيلا عصب

تراهن ما بين ضافي السبب *** قصير الحزام طويل اللبب

عليها صناديد من هاشم *** هم الأنجبون مع المنتجب

أ لا ترى إلى تشميره في عداوة المشركين و إلى قوله :

و إن كان أحمد قد جاءهم *** بصدق و لم يأتهم بالكذب

فكيف يكون الإسلام ? و بما ذا يعرف الإيمان ? و هل بين قوله هذا و بين قول المسلم أشهد أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله فرق عند ذي اللب الذي ينهى النفس عن الهوى و يتنكب سبل الردى.

و قال أبو طالب رحمه الله يعاتب قوما من عشيرته و يحذرهم وبال عداوته و يذكر أمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) و عترته :

ألا أبلغا عني لويا رسالة *** بحق و ما تغني رسالة مرسل

بني عمنا الأدنين تيما نخصهم *** و إخواننا من عبد شمس و نوفل

أ ظاهرتم قوما علينا ولاية *** و أمرا غويا من غواة و جهل

يقولون لو أنا قتلنا محمدا *** أقرت نواصي هاشم بالتذلل

كذبتم و رب الهدي تدمى نحوره *** بمكة و الركن العتيق المقبل

تنالونه أو تصطلوا دون نيله *** صوارم تفري كل عضو و مفصل

فمهلا و لما تنتج الحرب بكرها *** بيتن تمام أو بآخر معجل

و تلقوا ربيع الأبطحين محمدا *** على ربوة في رأس عنقاء عيطل

و تأوى إليه هاشم إن هاشما *** عرانين كعب آخرا بعد أول

فإن كنتم ترجون قتل محمد *** فرموا بما جمعتم نقل يذبل

فإنا سنحميه بكل طمرة *** و ذي ميعة نهد المراكل هيكل

و كل رديني ظماء كعوبه *** و عضب كإيماض الغمامة مقصل

بإيمان شم من ذوابة هاشم *** مغاوير بالأخطار في كل محفل

و قال أبو طالب رحمة الله عليه في مثل ذلك :

خذوا حظكم من سلمنا إن حربنا *** إذا ضرستنا الحرب نار تسعر

فإنا و إياكم على كل حالة *** لمثلان بل أنتم إلى الصلح أفقر

موقفه مع عثمان بن مظعون :

و كان عثمان بن مظعون الجمحي رضي الله عنه ممن شرح الله صدره للإيمان و وفقه للإسلام فكان يقف في مجامع قريش و أنديتهم و يعظهم و يأمرهم باتباع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) و تصديقه و يحذرهم من النار و عذاب الآخرة فوثب عليه سفهاؤهم ففقئوا عينه فنهض أبو طالب في أمره و أخذ له بحقه و قال في ذلك :

أ من تذكر دهر غير مأمون *** أصبحت مكتئبا أبكي لمحزون

أم من تذكر أقوام ذوي سفه *** يغشون بالظلم من يدعو إلى الدين

يعني دين النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي جاء به .

أ لا يرون أقل الله خيرهم *** أنا غضبنا لعثمان بن مظعون

و نمنع الضيم من يرجو مضيمتنا *** بكل مطرد في الكف مسنون

و مرهفات كان الملح خالطها *** نشفي بها الداء من هام المجانين

حتى تقر رجال لا حلوم لهم *** بعد الصعوبة بالإسماح و اللين

أو يؤمنوا بكتاب منزل عجب *** على نبي كموسى أو كذي النون

انظر يا ذا اللب و النهى و العقل و الحجى إلى إقراره بالكتاب و أنه منزل ; عجب كما قال الله تعالى حاكيا عن مؤمني الجن حين سمعوا القرآن إِنَّا سَمِعْنا قُرْآناً عَجَباً يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ... الآية . و إلى قوله : على نبي كموسى أو كذي النون

فسبحان الله من أين يعرف الجاهلي موسى و يونس (عليه السلام) و من أين يعرف الكتاب المنزل و هل يؤمن بأنبياء الله تعالى و رسله و كتبه من يشرك به. إن هذا إلا هوى قاهر و عناد ظاهر ثم ما كفى أبا طالب صريح الإقرار و محض الإيمان حتى حث المشركين على اتباعه و الإيمان به ثم كيف يتقدر منه أن يخبر في شعره أنه يضرب المشركين بمرهفات كان الملح خالطها حتى يؤمنوا بالكتاب المنزل و لا يؤمن هو به إن هذا

لهو المحال الذي لا يخفى على ربات الحجال و إن شعره إذا تأملته و كلامه إذا تبينته لأشد على المشركين من القرآن المجيد

في ذم أبي جهل :

و أخبرني الشيخ الفقيه شاذان رحمه الله بإسناده إلى أبي الفتح الكراجكي رحمه الله يرفعه : أن أبا جهل بن هشام جاء إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) و معه حجر يريد أن يرميه به إذا سجد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فرفع أبو جهل يده فيبست على الحجر فرجع و قد التصق الحجر بيده فقال له أشياعه من المشركين أ جننت قال لا و لكني رأيت بيني و بينه كهيئة الفحل يخطر بذنبه. فقال في ذلك أبو طالب رضي الله عنه و أرضاه هذه الأبيات :

أفيقوا بني عمنا و انتهوا * عن الغي في بعض ذا المنطق**

و إلا فإني إذا خائف * بوائق في داركم تلتقي**

تكون لغابركم عبرة * و رب المغارب و المشرق**

كما ذاق من كان من قبلكم * ثمود و عاد فمن ذا بقي**

غداة أتتهم بها صرصر * و ناقة ذي العرش إذ تستقي**

فحل عليهم بها سخطة * من الله في ضربة الأزرق**

غداة يعض بعرقوبها * حسام من الهند ذو رونق**

و أعجب من ذاك في أمركم * عجائب في الحجر الملصق**

بكف الذي قام في جنبه * إلى الصابر الصادق المتقي**

فأثبته الله في كفه * على رغم ذا الخائن الأحمق**

فهل يكون دليل على إيمان أبي طالب رحمه الله أوضح من هذه الأبيات ? و أنه أعرب بها عن إيمانه بالله تعالى و رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) ; كما ضمنها من الإقرار بالله تعالى و الاعتراف بآياته و تصديقه بالمعجزات التي أظهرها الله لنبيه و إخباره عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه صابر صادق متقي , ثم يضرب للكفار الأمثال بناقة صالح (عليه السلام) و يضيفها إلى الله تعالى في قوله :

و ناقة ذي العرش أ لا ترى

ما أحسن ما يظهر الله إيمانه و يبين إسلامه حيث لا يضرب للكافرين مثل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلا بأمثال من تقدمه من النبيين و المرسلين (عليهم السلام) و في هذا مقنع لمن اهتدى و نهى النفس عن الهوى.

و لقد حكى الشيخ أبو الحسن علي بن أبي المجد الواعظ الواسطي بها في شهر رمضان سنة تسع و تسعين و خمس مائة حكاية مطبوعة أوجبت الحال إيرادها في هذا المكان قال حدثني والدي أبو المجد الواعظ قال :

كنت أروي أبيات أبي طالب هذه القافية و أنشد قوله منها كذا :

بكف الذي قام في جنبه *** إلى الصائن الصادق المتقي

فرأيت في نومي ذات ليلة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) جالسا على كرسي و إلى جانبه شيخ عليه من البهاء ما يأخذ بمجامع القلب فدنوت من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقلت السلام عليك يا رسول الله فرد علي السلام ثم أشار (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى الشيخ و قال ادن من عمي فسلم عليه فقلت أي أعمامك هذا يا رسول الله فقال هذا عمي أبو طالب فدنوت منه و سلمت عليه ثم قلت يا عم رسول الله إني أروي أبياتك القافية و أحب أن تسمعها مني فقال هاتها فأنشدته إياها إلى أن بلغت فيها :

بكف الذي قام في جنبه *** إلى الصائن الصادق المتقي

فقال أنما قلت أنا : إلى الصابر الصادق المتقي , بالراء و لم أقل بالنون ثم استيقظت و كتبت في النسخة التي عندي بعد هذه الأبيات : أخبرني أبو طالب رضي الله عنه بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال : إلى الصابر الصادق المتقي

المأمون يقول بإسلام أبي طالب :

و روى رجل من أهل قوسان اجتمعت به هناك في بعض شهور سنة تسع و تسعين و خمس مائة بإسناد عن المأمون : أنه كان يقول , أسلم و الله أبو طالب ببيت قاله و هو قوله :

نصرنا الرسول رسول المليك *** ببيض تلالا كلمع البروق

و بعد هذا البيت :

أذب و أحمي رسول الإله *** حماية حام عليه شفيق

و ما إن أدب لأعدائه *** دبيب البكار حذار الفنيق

و لكن أزير لهم ساميا *** كما زار ليث بغيل مضيق

مع النجاشي ملك الحبشة :

و روى الواقدي بإسناد له : أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لما كثر أصحابه فظهر أمره اشتد على قريش ذلك و أنكر بعضهم على بعض و قالوا قد أفسد محمد بسحره سفلتنا و أخرجهم عن ديننا فلتأخذ كل

قبيلة من فيها من الصباة و لنعذبه حتى يعود عما علق به من دين محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) و كانت كل قبيلة تعذب من فيها من المسلمين فيأخذ الأخ أخاه و ابن العم ابن عمه فيشده و يوثقه كتافا و يضربه و يخوفه و هم لا يرجعون فأنزل الله تعالى أَ لَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ واسِعَةً فَتُهاجِرُوا فِيها فخرج جماعة من المسلمين إلى الحبشة يقدمهم جعفر بن أبي طالب (عليه السلام) فنزلوا على النجاشي ملك الحبشة فأقاموا عنده في كرامة و رفيع منزلة و حسن جوار و عرفت قريش ذلك فأرسلوا إلى النجاشي عمرو بن العاص و عمارة بن الوليد بن المغيرة المخزومي فخرج عمرو بن العاص و هو يقول :

تقول ابنتي أين أين الرحيل *** و ما النصر مني بمستنكر

فقلت دعيني فإني امرؤ *** أريد النجاشي في جعفر

لأكويه عنده كية أقيم *** بها نخوة الأصعر

و لن أنثني عن بني هاشم *** بما اسطعت في الغيب و المحضر

و عن عائب اللات في قوله *** و لو لا رضا اللات لم تمطر

و إني لأشنا قريش له *** و إن كان كالذهب الأحمر

و لهذا القول كان عمرو بن العاص ينبز بشانئ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) و فيه نزلت بإجماع الأمة الآية إِنَّ شانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ فلما قدم عمرو بن العاص و عمارة بن الوليد في رهط من أصحابهما على النجاشي تقدم عمرو فقال أيها الملك إن هؤلاء قوم من سفهائنا صباة قد سحرهم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب فادفعهم عنك فإن صاحبهم يزعم أنه نبي قد جاء بنسخ دينك و محو ما أنت عليه فلم يلتفت النجاشي إلى قوله و لم يحفل بما أرسلت به إليه قريش و جرى على إكرام جعفر (عليه السلام) و أصحابه و زاد في الإحسان إليهم و بلغ أبا طالب ذلك فقال يمدح النجاشي :

ألا ليت شعري كيف في الناس جعفر *** و عمرو و أعداء النبي الأقارب

و هل نال إحسان النجاشي جعفرا *** و أصحابه أم عاق ذلك شاعب

تعلم خيار الناس إنك ماجد *** كريم فلا يشقى لديك المجانب

تعلم بأن الله زادك بسطة *** و أسباب خير كلها لك لازب

فلما بلغت الأبيات النجاشي سر بها سرورا عظيما و لم يكن يطمع أن يمدحه أبو طالب بشعر فزاد من إكرامهم و أكثر من إعظامهم فلما علم أبو طالب بسرور النجاشي قال يدعوه إلى الإسلام و يحثه على اتباع النبي عليه أفضل الصلاة و السلام :

تعلم خيار الناس أن محمدا *** وزير لموسى و المسيح ابن مريم

أتى بالهدى مثل الذي أتيا به *** فكل بأمر الله يهدى و يعصم

و إنكم تتلونه في كتابكم *** بصدق حديث لا حديث المترجم

فلا تجعلوا لله ندا و أسلموا *** فإن طريق الحق ليس بمظلم

و إنك ما تأتيك منا عصابة *** لقصدك إلا ارجعوا بالتكرم

فانظر أيها المنصف اللبيب و الحازم الأريب إلى هذه الشهادة لمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه وزير لموسى و المسيح (عليهما السلام) ; و أنه أتى بالهدى مثل الذي أتيا به , فهذا إيمان محض بالنبيين (عليهم السلام) و اعتراف بما جاءوا به من الهدى

فكل بأمر الله يهدى و يعصم

أي كل من محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) و موسى و المسيح (عليهما السلام) يهدى و يعصم . و قوله للنجاشي :

و إنكم تتلونه في كتابكم

يريد الإنجيل لأن ذكر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فيه , و كان النجاشي على دين النصرانية فهل فوق هذا تصديق أو أعظم منه تحقيق.

ثم يقول للنجاشي :

فلا تجعلوا لله ندا و أسلموا *** ...

أ ليس هذا أمرا صريحا منه بالتوحيد لله تعالى ? و الإسلام الذي جاء به ابن أخيه (صلى الله عليه وآله وسلم) .

ثم يقول : فإن طريق الحق ليس بمظلم

فيا ليت شعري من يرى طريق الحق ليس بمظلم و إنه واضح و هو سديد عاقل ? كيف يختار الضلال ?? نعوذ بالله من اتباع الهوى المورد لظى النار الموجب لغضب الجبار

أبو طالب يحث ولده على نصرة الرسول :

و أخبرني السيد أبو علي عبد الحميد التقي رحمه الله بإسناده إلى الشريف الموضح يرفعه قال : كان أبو طالب يحث ولده عليا (عليه السلام) و يحضه على نصر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) .

و قال علي (عليه السلام) : قال لي أبي يا بني ألزم ابن عمك فإنك تسلم به من كل بأس عاجل و آجل

ثم قال لي :

إن الوثيقة في لزوم محمد * فاشدد بصحبته على يديكا**

الفصل الخامس

أبو طالب يأمر جعفرا بالصلاة مع الرسول:

وأما دفاع أبي طالب رحمه الله عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ودعاؤه لأهل بيته إلى تصديقه و نصره و اجتهاده في شأنه و أمره فأبين من الألاهة عند ذوي الفطنة و النباهة.

أخبرني الفقيه أبو الفضل شاذان بن جبرئيل رحمه الله بإسناده إلى الشيخ أبي الفتح الكراجكي رحمه الله قال حدثني القاضي أبو الحسن محمد بن علي بن صخر الأودي قال حدثنا عمر بن محمد بن سيف بالبصرة سنة سبع و ستين و ثلاثمائة قال حدثنا محمد بن محمد بن سليمان قال حدثنا محمد بن ضوء بن صلصال بن الدلهمس بن جهل بن جندل قال حدثني أبي ضوء بن صلصال بن الدلهمس قال : كنت أنصر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مع أبي طالب قبل إسلامي فإني يوما لجالس بالقرب من منزل أبي طالب في شدة القيظ إذ خرج أبو طالب إلى شبيها بالملهوف فقال لي يا أبا الغضنفر هل رأيت هذين الغلامين يعني النبي و عليا (عليهما السلام) فقلت ما رأيتهما مذ جلست فقال قم بنا في الطلب لهما فلست آمن قريشا أن تكون اغتالتهما قال فمضينا حتى خرجنا من أبيات مكة ثم صرنا إلى جبل من جبالها

فاسترقيناه إلى قلته فإذا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) و علي عن يمينه و هما قائمان بإزاء عين الشمس يركعان و يسجدان فقال أبو طالب لجعفر ابنه و كان معنا صل جناح ابن عمك فقام إلى جنب علي فأحس بهما النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فتقدمهما و أقبلوا على أمرهم حتى فرغوا مما كانوا فيه ثم أقبلوا نحونا فرأيت السرور يتردد في وجه أبي طالب ثم انبعث يقول :

إن عليا و جعفرا ثقتي *** عند ملم الزمان و النوب

لا تخذلا و انصرا ابن عمكما *** أخي لأمي من بينهم و أبي

و الله لا أخذل النبي و لا *** يخذله من بني ذو حسب

أخبرني السيد أبو علي عبد الحميد بن التقي الحسيني رحمه الله بإسناده إلى أبي علي الموضح يرفعه إلى عمران بن الحصين الخزاعي رحمه الله قال : كان و الله إسلام جعفر (عليه السلام) بأمر أبيه و لذلك مر أبو طالب و معه ابنه جعفر برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) و هو يصلي و علي (عليه السلام) عن يمينه فقال أبو طالب لجعفر صل جناح ابن عمك فجاء جعفر فصلى مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فلما قضى صلاته قال له النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يا جعفر وصلت جناح ابن عمك إن الله يعوضك من ذلك جناحين تطير بهما في الجنة فأنشأ أبو طالب رضوان الله عليه يقول :

إن عليا و جعفرا ثقتي *** عند ملم الزمان و النوب

لا تخذلا و انصرا ابن عمكما *** أخي لأمي من بينهم و أبي

إن أبا معتب قد أسلمنا *** ليس أبو معتب بذي حدب

و الله لا أخذل النبي و لا *** يخذله من بني ذو حسب

حتى تروا الرءوس طائحة *** منا و منكم هناك بالقضب

نحن و هذا النبي أسرته *** نضرب عنه الأعداء كالشهب

إن نلتموه بكل جمعكم *** فنحن في الناس ألأم العرب

قوله في الأبيات : أخي لأمي من بينهم و أبي ; يريد أن أبا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عبد الله بن عبد المطلب أخوه لأبيه و أمه من بين سائر بني عبد المطلب لأن عبد المطلب كان له عشره بنين و قيل أحد عشر ابنا و هو الصحيح و كانوا لأمهات شتى و كان عبد الله بن عبد المطلب أبو رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) و أبو طالب رضي الله عنه لأم واحدة من بين إخوتهما و كان لهما أخ آخر من أبيهما و أمهما اسمه الزبير لم يعقب

و أمهم فاطمة بنت عمرو بن عايذ بن عمران بن مخزوم. و لذلك قال العباس بن علي بن الحسن بن علي بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) مفتخرا.

:

إنا و أن رسول الله يجمعنا *** أب و أم و جد غير موصوم

جاءت به و بنا من بين أسرته *** غراء من نسل عمران بن مخزوم

حزنا بها دون من يسعى ليدركها *** قرابة من حواها غير مسهوم

رزقا من الله أعطانا فضيلته *** و الناس ما بين مرزوق و محروم

و قال بعض الشيعة في ذلك و أحسن ما شاء :

إن علي بن أبي طالب *** جدا رسول جداه

أبو علي و أبو المصطفى *** من طينة طيبها الله

و قول أبي طالب : إن أبا معتب , يريد أخاه أبا لهب , و كان يكنى أبا معتب و أبا عتبة و أبا عتيبة.

إن قيل كيف أمر أبو طالب ابنه جعفرا (عليه السلام) بالصلاة مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) و لم يصل هو إذا قلتم إنه كان بالله مؤمنا و برسوله موقنا. قلنا إنما منعه من ذلك مراقبته لصاحبه الذي جاء معه

و نصره و آزره لئلا يحرفه عنه استبقاء لنصرته و حفظا لمساعدته ليقوي أمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) و تنتشر دعوته و تشيع كلمته أ لا ترى أن صاحبه الذي جاء معه ينصره كيف روى في حديثه أنه كان ينصر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مع أبي طالب و هو بعد لم يسلم فلم يأمن أبو طالب إذا صلى ظاهرا أن يفشي صاحبه أمره في جميع أنصاره و أعوانه و عامتهم مقيم على الشرك متظاهر بالكفر فيصيرون يدا عليه و يوجهون عداوتهم إليه و يفسد عليه أموره و يبطل تدبيره لأنه رحمه الله كان يخادع القوم لتقوى شوكة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) و يظهر دين الله على ما بينته في آخر الكتاب و الله الموفق للصواب

أبو طالب و فقده النبي :

و أخبرني الشيخ الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن محمد بن الجوزي المحدث البغدادي و كان ممن يرى كفر أبي طالب و يعتقده بواسط العراق سنة إحدى و تسعين و خمس مائة بإسناد له إلى الواقدي قال : كان أبو طالب بن عبد المطلب لا يغب صباح النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) و لا مساءه و يحرسه من أعدائه و يخاف أن يغتالوه فلما كان ذات يوم فقده فلم يره و جاء المساء فلم يره و أصبح الصباح فطلبه في مظانه فلم يجده فلزم أحشاءه و قال وا ولداه و جمع عبيده و من يلزمه في نفسه فقال لهم إن محمدا قد فقدته في أمسنا و يومنا هذا و لا أظن إلا أن قريشا قد اغتالته و كادته و قد بقي هذا الوجه ما جئته و بعيد أن يكون فيه و اختار من عبيده عشرين رجلا فقال امضوا و أعدوا سكاكين و ليمض كل رجل منكم و ليجلس إلى جنب سيد من سادات قريش فإن أتيت و محمد معي فلا تحدثن أمرا و كونوا على رسلكم حتى أقف عليكم و إن جئت و ما محمد معي فليضرب كل رجل منكم الرجل الذي إلى جانبه من سادات قريش فمضوا و شحذوا سكاكينهم حتى رضوها و مضى أبو طالب في الوجه الذي أراده و معه رهطه من قومه فوجده في أسفل مكة قائما يصلي إلى جنب صخرة فوقع عليه و قبله و أخذ بيده و قال يا ابن أخ قد كدت أن تأتي على قومك سر معي فأخذ بيده و جاء إلى المسجد و قريش في ناديهم جلوس عند الكعبة فلما رأوه قد جاء و يده في يد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قالوا هذا أبو طالب قد جاءكم بمحمد إن له لشأنا فلما وقف عليهم و الغضب في وجهه قال لعبيدة أبرزوا ما في أيديكم فأبرز كل واحد منهم ما في يده فلما رأوا السكاكين قالوا ما هذا يا أبا طالب قال ما ترون إني طلبت محمدا فلم أره منذ يومين فخفت أن تكونوا كدتموه ببعض شأنكم فأمرت هؤلاء أن يجلسوا حيث ترون و قلت لهم إن

جئت و ليس محمد معي فليضرب كل منكم صاحبه الذي إلى جنبه و لا يستأذني فيه و لو كان هاشميا فقالوا و هل كنت فاعلا. فقال إي و رب هذه و أومأ إلى الكعبة فقال له المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف و كان من أحلافه لقد كدت تأتي على قومك قال هو ذاك و مضى به و هو يقول :

اذهب بني فما عليك غضاضة *** اذهب و قر بذاك منك عيونا

و الله لن يصلوا إليك بجمعهم *** حتى أوسد في التراب دفينا

و دعوتني و علمت أنك ناصحي *** و لقد صدقت و كنت قبل أمينا

و ذكرت دينا لا محالة أنه *** من خير أديان البرية دينا

قال فرجعت قريش على أبي طالب بالعتب الاستعطاف و هو لا يحفل بهم و لا يلتفت إليهم .

فانظر بعين الإنصاف و ارفض التعصب لأهل الخلاف و تأمل صنيع أبي طالب ما أعظمه و فعله ما أحزمه فإنه حسم عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بما أوعز إلى العبيد شغب كل كافر مريد فتركها لم تزل خائفة من بأس أبي طالب رحمه الله شفقة على أنفسها من أذى يلحق النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فيؤاخذهم به أبو طالب أشد مؤاخذة و ينابذهم أعظم منابذة و هذا النصر الصادر عن صدق الإيمان و الولاية و به تثبيت النبوة و تمكن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من أداء الرسالة و أذاعة الدعوة و إقامة الشريعة و لولاه ما انتظم أمر الإسلام و لا قويت شوكة الإيمان و من لم يعرف باعتبار أبي طالب هذا و أمثاله صحة إيمانه و عظيم عنايته في الدين خرج عن حد المكلفين .

موقف الرسول بعد وفاة أبي طالب :

أ لا ترى أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يزل مدة حياة عمه أبي طالب مقيما بمكة عزيزا ممنوعا من أذى المشركين معصوما حتى اختار الله لأبي طالب الانتقال إلى دار كرامته بانقضاء مدته فنبت برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مكة و لم تستقر له بها دعوة حتى اجتمع الملأ من مشركي قريش في دار الندوة و اتفقوا على الفتك بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى جاءه جبرئيل (عليه السلام) بالوحي من عند الله تعالى فقال اخرج عن مكة فقد مات ناصرك فخرج هاربا مستخفيا و بيت أمير المؤمنين (عليه السلام) على فراشه فبات واقيا له بنفسه جاريا على سنن أبيه في ولايته و الجد في نصرته و بذل النفس دون حوزته حتى كان من أمره ما كان و عند ذلك أنزل الله تعالى في أمير المؤمنين (عليه السلام) وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللَّهِ ... الآية فهو يقي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بنفسه و

أبوه يذب عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) هذا الذب مع ما بينهما و بينه من الرحم الشابكة و القرابة الدانية و كيف لا يخاف الله من يكفرهم و يقول فيهم ما لا يليق بهم ليقرب غيرهم و يبعدهم أخذ الله لهم بحقهم و لعظيم دفاع أبي طالب رحمه الله عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال على ما رويناه بالأسانيد الصحيحة لما مات أبو طالب و اجترأت قريش عليه و وجهت الأذى إليه ما زالت قريش كاعة حتى مات أبو طالب. و الكاعة جمع كائع و هو الجبان يقال كاع الرجل فهو كايع إذا جبن و أراد (صلى الله عليه وآله وسلم) أن قريشا ما زالوا جبناء عن أذاه و التعرض به حتى مات ناصره أبو طالب رضي الله عنه. و لما مات أبو طالب و خديجة بنت خويلد زوج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) سمى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) العام الذي ماتا فيه عام الحزن و ذلك لشدة مصابه بهما و وجده عليهما. و كان بين موت أبي طالب و موت خديجة ثلاثة أيام لأن أبا طالب رحمه الله مات لتسع سنين و ثمانية أشهر من مبعث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) و قد جاز الثمانين و للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يومئذ تسع و أربعون سنة و ثمانية أشهر لأنه (صلى الله عليه وآله وسلم) بعث بلا خلاف و هو ابن أربعين سنة و توفيت خديجة رضي الله عنها بعد موت أبي طالب بثلاثة أيام. و قد رويت رواية شاذة أنها ماتت بعد موت أبي طالب بأحد عشر يوما و الأول أكثر في الرواية و هو المعمول عليه. و أقام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد موت أبي طالب رحمه الله بمكة ثلاثة أشهر و ثلاثة أيام خائفا على نفسه مرتقبا لأمر ربه يرتاد لنفسه منزلا ينزله و بلدا يسكنه ثم خرج إلى الطائف و معه مولاه زيد بن حارثة فأقام بها شهرا ثم رجع إلى مكة في جوار مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف و كان مطعم هذا حليفا لعمه أبي طالب و هو الذي قال فيه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم بدر حين أسر أصحابه من أسروا من كفار قريش لو كان مطعم بن عدي حيا و كلمني في هؤلاء لأطلقتهم له فأقام (صلى الله عليه وآله وسلم) في جواره سنة و نصفا من حين رجوعه من الطائف ثم أسري به إلى بيت المقدس. ثم أمر بالهجرة و فرض عليه الجهاد فأمر أصحابه بالهجرة فخرجوا إرسالا و خرج هو (صلى الله عليه وآله وسلم) على رأس ثلاث عشرة سنة من مبعثه لثلاث سنين و أربعة أشهر من موت عمه أبي طالب فأظهره الله على الدين و أذل له الكافرين. ثم إن أبا طالب يقول في هذه الأبيات التي أوردناها :

و دعوتني و علمت أنك ناصحي

فهو يؤمن بدعائه له و يشهد بصدقه في قوله و لقد صدقت و يأتي باللام المؤكدة و بأمانته في قوله :

و كنت قبل أمينا

و لا يعد مسلما و من تأمل هذه الأبيات رآها دالة على محض الإيمان و صريح الإسلام

المبرد يرى إسلام أبي طالب :

و حدثني شيخنا عميد الرؤساء ابن أيوب اللغوي قال : أراني السيد عبد الحميد بن التقي الحسيني النسابة نسخة عتيقة من كتاب الكامل للمبرد و فيها بعد ذكره أبا طالب في بعض الأبواب و أسلم أبو طالب و حسن إسلامه و صدق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في كلمته و له شأن عجيب لا يحتمله أهل بغداد فمما صدقه فيه (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله اذهب بني فما عليك غضاضة و ذكر الأبيات .

الفصل السادس

النبي في وفاة عمه :

و مما رواه نقلة الآثار و رواة الأخبار : من فعل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عند موت عمه أبي طالب رحمه الله و قوله اللذين يشهدان بصحة إسلامه و حقيقة إيمانه .

ما حدثني به مشايخي أبو عبد الله محمد بن إدريس و أبو الفضل شاذان بن جبرئيل و أبو العز محمد بن علي بن الفويقي رضوان الله عليهم بأسانيدهم إلى الشيخ المفيد أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان رحمه الله يرفعه قال :

لما مات أبو طالب رحمه الله أتى أمير المؤمنين علي (عليه السلام) النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فآذنه بموته فتوجع توجعا عظيما و حزن حزنا شديدا ثم قال لأمير المؤمنين (عليه السلام) امض يا علي فتول أمره و تول غسله و تحنيطه و تكفينه فإذا رفعته على سريره فأعلمني ففعل ذلك أمير المؤمنين (عليه السلام) فلما رفعه على السرير اعترضه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فرق و تحزن و قال وصلتك رحم و جزيت خيرا يا عم فلقد ربيت و كفلت صغيرا و نصرت و آزرت كبيرا .

ثم أقبل على الناس , و قال : أم و الله لأشفعن لعمي شفاعة يعجب بها أهل الثقلين .

فهذا الحديث يدل على إيمان أبي طالب رحمه الله من وجهين :

أحدهما أمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لأمير المؤمنين (عليه السلام) أن يفعل به ما يفعل بأموات المسلمين من الغسل و التحنيط و التكفين دون الجاحدين من أولاده إذ كان من حضره منهم سوى أمير

المؤمنين (عليه السلام) إذ ذاك مقيما على الجاهلية لأن جعفرا (عليه السلام) كان يومئذ عند النجاشي ببلاد الحبشة و كان عقيل و طالب يومئذ حاضرين و هما مقيمان على خلاف الإسلام و لم يسلم واحد منهما بعد فخص أمير المؤمنين (عليه السلام) بتولية أمر أبيه لمكان إيمانه و لم يتركه لهما لمباينتهما له في معتقده و لو كان أبو طالب مات كافرا لما أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أمير المؤمنين (عليه السلام) بتولية أمره لانقطاع العصمة بين الكافر و المسلم و لتركه كما ترك عمه الآخر أبا لهب و لم يعبأ بشأنه و لم يحفل بأمره و في حكمه (صلى الله عليه وآله وسلم) لأمير المؤمنين (عليه السلام) بتولية أمره و إجراء أحكام المسلمين عليه من الغسل و التحنيط و التكفين و المؤازرة من دون طالب و عقيل شاهد صدق على إسلامه.

و الوجه الآخر قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وصلتك رحم و جزيت خيرا و وعد أصحابه له بالشفاعة التي يعجب بها أهل الثقلين و موالاته بين الدعاء له و الثناء عليه و كذلك كانت الصلاة على المسلمين صدر الإسلام حتى فرض الله صلاة الجنائز و بمثل ذلك صلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على خديجة رضي الله عنها

أ صلاة الموتى مشرعة حينذاك

و أخبرني الشيخان أبو عبد الله محمد بن إدريس و أبو الفضل شاذان بن جبرئيل رحمهما الله بإسناد إلى أبي الفرج الأصفهاني قال حدثنا أبو بشر قال حدثنا محمد بن الحسن بن حماد قال حدثنا محمد بن حميد قال حدثني أبي قال : سئل أبو الجهم بن حذيفة أ صلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على أبي طالب فقال و أين الصلاة يومئذ إنما فرضت الصلاة بعد موته. و لقد حزن عليه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) و أمر عليا بالقيام بأمره و حضر جنازته و شهد له العباس و أبو بكر بالإيمان و أشهد على صدقهما لأنه كان يكتم إيمانه و لو عاش إلى ظهور الإسلام لأظهر إيمانه.

و ذكر الشريف النسابة العلوي العمري المعروف بالموضح بإسناده : أن أبا طالب لما مات لم تكن نزلت الصلاة على الموتى فما صلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عليه و لا على خديجة و إنما اجتازت جنازة أبي طالب و النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) و علي و جعفر و حمزة جلوس فقاموا و شيعوا جنازته و استغفروا له فقال قوم نحن نستغفر لموتانا و أقاربنا المشركين أيضا ظنا منهم أن أبا طالب مات مشركا لأنه كان يكتم إيمانه فنفى الله عن أبي طالب الشرك و نزه نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) و الثلاثة المذكورين (عليه السلام) عن الخطإ في قوله ما كانَ لِلنَّبِيِّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَ لَوْ كانُوا أُولِي قُرْبى

فمن قال بكفر أبي طالب فقد حكم على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالخطإ و الله تعالى قد نزهه عنه في أقواله و أفعاله و لو كان أبو طالب مات كافرا لما أبنه النبي بعد الموت و لا أثنى عليه و والى بين الدعاء له بالجزيل بل كان تبرأ منه و تتبعه باللوم و الذم و التوبيخ على قبيح ما أسلف من الخلاف له في دينه لأن ذلك كان فرضه الذي فرضه الله تعالى عليه حيث يقول عز و جل وَ لا تُصَلِّ عَلى أَحَدٍ مِنْهُمْ ماتَ أَبَداً وَ لا تَقُمْ عَلى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ ماتُوا وَ هُمْ فاسِقُونَ و قال عز و جل ما كانَ لِلنَّبِيِّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَ لَوْ كانُوا أُولِي قُرْبى مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحابُ الْجَحِيمِ وَ ما كانَ اسْتِغْفارُ إِبْراهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَها إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْراهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ و كذلك يجب على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يفعل ذلك بأموات الكافرين فبان بما لخصناه فساد قول المخالفين و الحمد لله رب العالمين .

الفصل السابع

أبو طالب و حنوه على النبي :

و أخبرني السيد السعيد أبو علي عبد الحميد بن التقي الحسيني رحمه الله بإسناده إلى الشريف أبي علي الموضح العمري العلوي يرفعه قال : لما أدخلت قريش بني هاشم الشعب إلا أبا لهب و أبا سفيان بن الحرث فبقي القوم بالشعب ثلاث سنين و كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا أخذ مضجعه و عرف مكانه جاءه أبو طالب فأنهضه عن فراشه و أضجع ابنه أمير المؤمنين (عليه السلام) مكانه فقال له أمير المؤمنين (عليه السلام) ذات ليلة يا أبتاه إني مقتول فقال :

اصبرن يا بني فالصبر أحجى *** كل حي مصيره لشعوب

قد بذلناك و البلاء شديد *** لفداء الحبيب و ابن الحبيب

لفداء الأغر ذي الحسب *** الثاقب و الباع و الكريم النجيب

إن تصبك المنون فالنبل يرمى *** فمصيب منها و غير مصيب

كل حي و إن تملي بعيش *** آخذ من خصالها بنصيب

فقال أمير المؤمنين (عليه السلام) يجيبه :

أ تأمرني بالصبر في نصر أحمد *** و و الله ما قلت الذي قلت جازعا

و لكنني أحببت أن ترى نصرتي *** و تعلم أني لم أزل لك طائعا

و سعيي لوجه الله في نصر أحمد *** نبي الهدى المحمود طفلا و يافعا

و أخبرني شيخنا أبو عبد الله رحمه الله بإسناده إلى أبي الفرج الأصفهاني قال : كان أبو بشر يقول كان علي (عليه السلام) لا يرى أحدا يسب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلا وثب عليه و كان في كل يوم يجيء إلى أبيه مضروبا مشجوجا فقال له في ذلك أبو طالب :

اصبرن يا بني فالصبر أحجى

الأبيات .

أبو طالب يحث حمزة على الإسلام :

و قال أبو طالب يأمر أخاه حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنهما بالإسلام و يحضه على نصر نبي الهدى (صلى الله عليه وآله وسلم) قال :

فصبرا أبا يعلى على دين أحمد *** و كن مظهرا للدين وفقت صابرا

و حط من أتى بالحق من عند ربه *** بصدق و حق لا تكن حمز كافرا

فقد سرني إذ قلت إنك مؤمن و كن *** لرسول الله في الله ناصرا

و ناد قريشا بالذي قد أتى به *** جهارا و قل ما كان أحمد ساحرا

لم يكفه رضي الله عنه أمره لأخيه بالصبر على عداوة قريش و النصر للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى أمره بإظهار الدين و الاجتهاد في حياطته و الدفاع عن بيضته ثم يشهد لأخيه حمزة أن محمدا (صلى الله عليه وآله وسلم) أتى بالدين من عند ربه بصدق و حق ثم يحذره الكفر في قوله لا تكن حمز كافرا ثم يقول له :

قد سرني إذ قلت إنك مؤمن

أ فتراه يسر لأخيه بالإيمان و يختار لنفسه الكفر الموجب لغضب الجبار و الخلود في النار ? و هل يتصور مثل هذا من ذي عقل ? ثم يأمره بنصر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) و يدعو له بالتوفيق لنصره في قوله :

و كن لرسول الله وفقت ناصرا

ثم يأمره بكشف أمره و أذاعه سره في قوله :

و ناد قريشا بالذي قد أتى به جهارا

أي لا تخف ذلك

و قل ما كان أحمد ساحرا

كما زعمتم بل كان نبيا صادقا و إن رغمتم ; فهل يعلم الإسلام بشيء أبين من هذا ? لكن العناد يصد عن سلوك نهج الرشاد .

ألوان من إيمان أبي طالب :

و أخبرني شيخنا أبو عبد الله رحمه الله بإسناده إلى أبي الفرج الأصفهاني قال أخبرني أبو بشر قال أخبرنا محمد بن هارون عن أبي حفص عن عمه قال الشعبي : لما قعدت قريش لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالموسم و زعموا أنه ساحر قال أبو طالب في ذلك :

زعمت قريش أن أحمد ساحر *** كذبوا و رب الراقصات إلى الحرم

ما زلت أعرفه بصدق حديثه *** و هو الأمين على الحرائب و الحرم

ليت شعري إذا كان ما زال يعرفه بصدق الحديث ما الذي يدعوه إلى تكذيبه ؟ أخذ الله له بحقه من الذين يفترون و ينسبون إليه ما ليس يكون.

و أخبرني شيخنا أبو عبد الله رحمه الله بإسناده إلى أبي الفرج الأصفهاني قال أخبرنا أبو بشر قال أخبرنا أبو محمد بن الحسن بن علي بن عبد الكريم الزعفراني قال أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن سعيد الثقفي عن الحسن بن مبارك عن أسيد بن القاسم عن محمد بن إسحاق قال : قال أبو طالب رضي الله عنه :

قل لمن كان من كنانة في العز *** و أهل الندى و أهل المعالي

قد أتاكم من المليك رسول *** فاقبلوه بصالح الأعمال

و انصروا أحمدا فإن من الله *** رداء عليه غير مدال

فاعتبر إقراره بالملك جلت عظمته و اعترافه بأن أحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) رسوله .

و قال رحمه الله يمدح النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) و يشهد برسالته و يقر بنبوته صلى الله عليه و على عترته :

أنت النبي محمد *** قرم أغر مسود

لمسودين أطائب *** كرموا و طاب المولد

نعم الأرومة أصلها *** عمرو الخضم الأوحد

هشم الربيكة في الجفان *** و عيش مكة أنكد

فجرت بذلك سنة *** فيها الخبيزة تثرد

و لنا السقاية للحجيج *** بها يماث العنجد

و المأزمان و ما حوت *** عرفاتها و المسجد

أنى تضام و لم أمت *** و أنا الشجاع العربد

و بنو أبيك كأنهم *** أسد العرين توقد

شم قماقمة غيوث *** ندي بحار تزبد

و بطاح مكة لا يرى *** فيها نجيع أسود

و لقد عهدتك صادقا *** في القول ما تتفند

ما زلت تنطق بالصواب *** و أنت طفل أمرد

و من تدبر هذا القول و وعاه علم حقيقة إيمان قائله بشهادته للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالصدق و قول الصواب , و في ذلك كفاية لأولى الألباب.

و قال أبو طالب رحمه الله يأمر النبي بإظهار دعوته و دعاء الناس إلى الإقرار برسالته :

لا يمنعنك من حق تقوم به *** أيد تصول و لا أضعاف أصوات

فإن كفك كفى أن فتكت بهم *** و دون نفسك نفسي في الملمات

و قال رضي الله عنه يمدح النبي و يذكره بما هو أهله :

إذا قيل من خير هذا الورى *** قبيلا و أكرمهم أسرة

أناف بعبد مناف أب *** و فضله هاشم الغرة

و حل من المجد في هاشم *** مكان النعائم و النثرة

فخير بني هاشم أحمد *** رسول الإله على فترة

هذا القول منه رضي الله عنه مطابق لقول الله تعالى قَدْ جاءَكُمْ رَسُولُنا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ فإن لم يكن في قوله شهادة منه بالنبوة فليس في ظاهر الآية شهادة ; و في هذا لمن اعتقده غاية الضلال و عظيم الوبال.

و أخبرني السيد النقيب أبو جعفر الحسني يحيى بن محمد بن أبي زيد العلوي الحسني البصري بمدينة السلام في شهر رمضان سنة أربع و ستمائة قال أخبرني والدي أبو طالب محمد بن محمد بن أبي زيد البصري النقيب قال أخبرني تاج الشرف المعروف بابن السخطة العلوي الحسيني البصري قال أخبرني السيد العالم النسابة الثقة أبو الحسن علي بن محمد الصوفي العلوي العمري رهـ قال أنشدني أبو عبد الله بن منعية الهاشمي معلمي رحمه الله بالبصرة لأبي طالب (عليه السلام) :

لقد أكرم الله النبي محمدا *** فأكرم خلق الله في الناس أحمد

و شق له من اسمه ليجله *** فذو العرش محمود و هذا محمد

و أخبرني المشيخة رضوان الله عليهم أبو عبد الله محمد بن إدريس و أبو الفضل شاذان بن جبرئيل و أبو العز محمد بن علي الفويقي بأسانيدهم إلى الشيخ المفيد أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان رحمه الله يرفعه :

أن أبا طالب رضي الله عنه لما أراد الخروج إلى بصرى الشام ترك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إشفاقا عليه و لم يعمل على استصحابه فلما ركب تعلق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بزمام ناقته

و بكى و ناشده في إخراجه معه فرق أبو طالب و أجابه إلى استصحابه فلما خرج معه (صلى الله عليه وآله وسلم) ظللته الغمامة و لقيه بحيرا الراهب فأخبره بنبوته و ذكر له البشارة في الكتب الأولى به و حمل له و لأصحابه الطعام إلى المنزل و حث أبا طالب على الرجوع به إلى أهله و قال له إني أخاف عليه من اليهود فإنهم أعداؤه و قصته مشهورة و في كتب العلماء مسطورة. فقال أبو طالب رضي الله عنه في ذلك هذه الأبيات :

إن ابن آمنة النبي محمدا *** عندي بمنزلة من الأولاد

لما تعلق بالزمام رحمته *** و العيس قد قلصن بالأزواد

فارفض من عيني دمع ذارف *** مثل الجمان مبدد الإفراد

راعيت منه قرابة موصولة *** و حفظت فيه وصية الأجداد

و أمرته بالسير بين عمومة *** بيض الوجوه مصالت أنجاد

حتى إذا ما القوم بصرى عاينوا *** لاقوا على شرف من المرصاد

حبرا فأخبرهم حديثا صادقا *** عنه و رد معاشر الحساد

فأما قوله : حفظت فيه وصية الأجداد

فإن أبي معد بن فخار بن أحمد العلوي الموسوي رحمه الله حدثني قال أخبرني النقيب أبو يعلى محمد بن علي بن حمزة الأقساسي العلوي الحسيني رحمه الله و هو يومئذ نقيب علينا بالحائر المقدس على ساكنه السلام بإسناده له إلى الواقدي قال : لما توفي عبد الله بن عبد المطلب أبو النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) و النبي طفل يرضع. و روي أن عبد الله توفي و النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حمل و هذه الرواية أثبت فلما وضعته أمه كفله جده عبد المطلب ثماني سنين ثم احتضر الموت فدعا ابنه أبا طالب و قال له يا بني تسلم ابن أخيك مني فأنت شيخ قومك و عاقلهم و من أجد فيه الحجى دونهم و هذا الغلام تحدثت به الكهان و قد روينا في الأخبار أنه سيظهر من تهامة نبي كريم و قد روي فيه علامات قد وجدتها فيه فأكرم مثواه و أحفظه من اليهود فإنهم أعداؤه فلم يزل أبو طالب لقول عبد المطلب حافظا و لوصيته راعيا. و من هنا قال : حفظت فيه وصية الأجداد

و قال رحمه الله في استصحاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) و قصة بحيرا الراهب من قصيدة :

أ لم ترني من بعد هم هممته *** بفرقة خير الوالدين كرام

بأحمد لما أن شددت مطيتي *** برحل و قد ودعته بسلام

بكى حزنا و العيس قد قلصت بنا *** و ناوش بالكفين فضل زمام

ذكرت أباه ثم رقرقت عبرة *** تفيض على الخدين ذات سجام

و قلت له رح راشدا في عمومة *** مواسين في البأساء غير لئام

فلما هبطنا أرض بصرى تشرفوا *** لنا فوق دور ينظرون جسام

و جاء بحيرا عند ذلك حاسرا *** لنا بشراب طيب و طعام

فقال اجمعوا أصحابكم لطعامنا *** كثير عليه اليوم غير حرام

فلما رآه مقبلا نحو داره *** يوقيه حر الشمس ظل غمام

حنا رأسه شبه السجود و ضمه *** إلى نحره و الصدر أي ضمام

و أقبل رهط يطلبون الذي رأى *** بحيرا من الأعلام وسط خيام

فذلك من إعلامه و بيانه *** و ليس نهار واضح كظلام

و قال من قصيدة في ذلك :

و ما برحوا حتى رأوا من محمد *** أحاديث تجلو غم كل فؤاد

و لما اشتد أذى أبي جهل بن هشام للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) و عناده له قال أبو طالب له متهددا و بالحرب متوعدا و لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) و لدينه محققا معتقدا :

صدق ابن آمنة النبي محمد *** فتميزوا غيظا به و تقطعوا

إن ابن آمنة النبي محمد *** سيقوم بالحق الجلي و يصدع

فأربع أبا جهل على ظلع فما *** زالت جدودك تستخف و تظلع

سترى بعينك أن رأيت قتاله *** و عنادة من أمره ما تسمع

لله در أبي طالب كأنه أوحى إليه ما يكون من أمر عدو الله أبي جهل إذ جد في عناد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) و قتاله حتى أراه الله بعينه يوم بدر و ما وعده أبو طالب من تعفير خده و إتعاس جده وَ لَعَذابُ الْآخِرَةِ أَخْزى وَ هُمْ لا يُنْصَرُونَ.

و أخبرني شيخنا أبو عبد الله رحمه الله بإسناده إلى أبي الفرج الأصفهاني يرفعه قال : لما رأى أبو طالب من قومه ما يسره من جلدهم معه و حد بهم عليه مدحهم و ذكر قديمهم و ذكر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال :

إذا اجتمعت يوما قريش لشدة *** فعبد مناف سرها و صميمها

و إن حصلت أشراف عبد منافها * ففي هاشم أشرافها و قديمها**

و إن فخرت يوما فإن محمدا * هو المصطفى من سرها و كريمها**

تداعت قريش غثها و سمينها * علينا فلم تظفر و طاشت حلومها**

و كنا قديما لا نقر ظلامة * إذا ما ثنوا صعر الخدود نقيمها**

إقرار أبي طالب بالتوحيد :

و أما أشعار أبي طالب رضي الله عنه المتضمنة إقراره بالتوحيد لله المجيد تقدست أسماؤه و تعالى كبرياؤه فهي مسطورة في كتب العلماء و تعاليق الأدباء. منها قوله رضي الله عنه :

مليك الناس ليس له شريك * هو الجبار و المبدئ المعيد**

و من فوق السماء له بحق * و من تحت السماء له عبيد**

فانظر كيف أقر لله تعالى في هذين البيتين بالتوحيد و خلع الأنداد و أنه يعيد بعد الابتداء و ينشئ خلقه نشأة أخرى فبمثل قوله هذا فارق المسلمون الجاهلية و باينوهم فيما كانوا عليه من خلاف التوحيد و قوله رضي الله عنه :

يا شاهد الله علي فاشهد * آمنت بالواحد رب أحمد**

من ضل في الدين فإني مهتدي

و قوله رضي الله عنه :

لا تيأسن إذا ما ضقت من فرج * يأتي به الله في الروحات و الدلج**

فما تجرع كأس الصبر معتصم * بالله إلا سقاه الله بالفرج**

أ لا ترى هذا الشعر ما أحسن معناه و أعذب ألفاظه و أشد يقين قائله بالله تعالى و أصدقه بالتوكل عليه سبحانه .

الفصل الثامن

لامية أبي طالب المشهورة :

و اعلم أنك إذا اعتبرت جميع ما ورد عن أبي طالب رضي الله عنه من النظم و النثر و الخطب و السجع رأيته مباينا لما عليه الجاهلية الذين لم يهتدوا إلى الإسلام و لم يعرفوا الإيمان و في بعض ما أوردناه في كتابنا هذا كفاية لمن كان له قلب أو ألقى السمع و هو شهيد و هذه أبيات نوردها من قصيدة أبي طالب اللامية المعروفة المشهورة المدونة المسطورة التي أولها :

و لما رأيت القوم لا ود عندهم *** و قد قطعوا كل العرى و الحبائل

و كان رضي الله عنه قالها يذكر حال قريش و من قطع رحمه منهم و من عاند النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) و صرح بعداوته و جاهر بمحاربته و هي طويلة تشتمل على علم غزير و فضل كبير

منها :

أعوذ برب البيت من كل طاعن *** علينا بسوء أو ملح بباطل

و من فاجر يغتابنا بمعيبة *** و من ملحق بالدين ما لم نحاول

فانظر كيف قال الدين يعني دين النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) و جعل من يعانده و يغتابه فاجرا .

و منها :

فهل بعد هذا من معاذ لعائذ *** و هل من حليم يتقي الله عادل

كذبتم و بيت الله نترك مكة *** و نظعن هذا أمركم في بلابل

كذبتم و بيت الله نبزي محمدا *** و لما نطاعن دونه و نناصل

و نسلمه حتى نصرع حوله *** و نذهل عن أبنائنا و الحلائل

عبيدة بن الحرث يستشهد بقول عمه :

أخبرني شيخي الفقيه أبو عبد الله محمد بن إدريس رحمه الله بإسناده إلى الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان رحمه الله يرفعه إلى أبي رافع مولى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) و ذكر حديثا طويلا قال فيه :

... لما أصبح الناس غداة بدر اصطفت قريش أمامها عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف و أخوه شيبة بن ربيعة و ابنه الوليد بن عتبة فنادى عتبة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال يا محمد أخرج إلينا أكفاءنا من قريش فبرز إليهم ثلاثة من شبان الأنصار فقال لهم عتبة من أنتم فانتسبوا فقال لا حاجة بنا إليكم إنما طلبنا بني عمنا فرد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الفتية الأنصاريين و أمر عليا (عليه السلام) و حمزة بن عبد المطلب و عبيدة بن الحرث بن عبد المطلب بن عبد مناف بالخروج إليهم فخرجوا إليهم و انتسبوا إليهم فقالوا أكفاء كرام ثم برز أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى الوليد بن عتبة و كان أحدث القوم فقتل علي (عليه السلام) الوليد و برز حمزة إلى عتبة فقتل حمزة عتبة و برز عبيدة بن الحرث إلى شيبة بن ربيعة فاختلفا ضربتين فأصاب ذباب سيف شيبة عضلة ساق عبيدة فقطعها و أشبل عليه أمير المؤمنين علي (عليه السلام) و حمزة فاستنقذاه و قتلا شيبة ثم احتملا عبيدة من المعركة إلى موضع رحل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) و أصحابه فقال عبيدة يومئذ رحم الله أبا طالب لو كان حيا لرأى أنه قد صدق في قوله :

و نسلمه حتى نصرع حوله * و نذهل عن أبنائنا و الحلائل**

فلما وصل عبيدة مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى الصفراء مات فدفن هناك رضي الله عنه :

و حتى نرى ذا الردع يركب ردعه * من الطعن فعل الأنكب المتحامل**

و ينهض قوم في الحديد إليكم * نهوض الروايا من طريق حلاحل**

و إنا و بيت الله إن جد ما نرى * لتلتبسن أسيافنا بالأماثل**

بكل فتى مثل الشهاب سميدع * أخي ثقة عند الحقيقة باسل**

شهورا و أعواما و حولا مجرما * علينا و تأتي حجة بعد قابل**

و ما ترك قوم لا أبا لك سيدا * يحوط الذمار غير نكس مواكل**

و أبيض يستسقى الغمام بوجهه * ربيع اليتامى عصمة للأرامل**

تلوذ به الهلاك من آل هاشم * فهم عنده في نعمة و فواضل**

فاطمة تستشهد ببيت أبي طالب :

و أخبرني المشيخة أبو عبد الله محمد بن إدريس و أبو الفضل شاذان بن جبرئيل و أبو العز محمد بن الفويقي رضي الله عنهم بأسانيدهم إلى الشيخ المفيد أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان رحمه الله يرفعه قال : لما احتضر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) و قرب خروج نفسه قال لعلي (عليه السلام) و كان لا يفارقه ضع رأسي يا علي في حجرك فقد جاء أمر الله عز و جل فإذا فاضت نفسي فتناولها بيدك و امسح بها وجهك ثم وجهني إلى القبلة و تول أمري و صل علي أول الناس و لا تفارقني حتى تواريني في رمسي و استعن بالله عز و جل فأخذ علي (عليه السلام) رأسه فوضعه في حجره فأغمي عليه و أكبت فاطمة (عليه السلام) تنظر في وجهه و تندبه و تبكي و تقول :

و أبيض يستسقى الغمام بوجهه *** ثمال اليتامى عصمة للأرامل

ففتح رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عينيه و قال بصوت ضئيل يا بنية هذا قول عمك أبي طالب لا تقوليه و لكن قولي وَ ما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَ فَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ فبكت طويلا فأومأ إليها بالدنو منه فأسر إليها شيئا تهلل له وجهها ثم قضى (صلى الله عليه وآله وسلم) .

أعرابي يستنجد بأبيات أبي طالب :

و قرأت على شيخنا عميد الرؤساء أبي منصور هبة الله بن حامد بن أحمد بن أيوب الكاتب اللغوي قال قرأت على الشيخ أبي الحسن علي بن عبد الرحيم السلمي اللغوي البغدادي قال أخبرني الشيخ أبو منصور موهوب بن أحمد بن الحصين الجواليقي اللغوي البغدادي قال أخبرني الشيخ أبو زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي اللغوي قال أخبرني الشيخ أبو الغنائم عبد الله بن ربين الرقي قال حدثني الرئيس علي بن أحمد البتي قال حدثني أبو بكر محمد بن عبد الله الشافعي قال حدثنا القاضي أبو إسحاق إسماعيل بن إسحاق قال حدثنا إسماعيل بن أويس عن هشام بن عروة بن الزبير عن عائشة قالت : جاء أعرابي إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال أتيناك يا رسول الله و ليس لنا صبي يصطبح و لا بعير يئط ثم أنشد :

أتيناك و العذراء يدمي لبانها *** و قد شغلت أم الرضيع عن الطفل

و ألقى بكفيه الصبي استكانة *** من الجوع حتى ما يمر و لا يحلي

و لا شيء مما يأكل الناس عندنا *** سوى الحنظل العامي و الطهل الفتل

و ليس لنا إلا إليك فرارنا *** و أين يفر الناس إلا إلى الرسل

فقام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يجر رداءه حتى رقي المنبر فحمد الله و أثنى عليه ; ثم قال : اللهم اسقنا غيثا مغيثا مريئا مريعا سحا سجالا غدقا طبقا دائما دررا تنبت به الزرع و تملأ به الضرع و تحيا به الأرض بعد موتها و اجعله سقيا عاجلا غير رائث .

فو الله ما رد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يده إلى نحره حتى ألقت السماء

بأوراقها و جاء أهل البطانة يصيحون يا رسول الله الغرق الغرق .

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : اللهم حوالينا و لا علينا .

فانجاب السحاب عن المدينة حتى أحدق بها كالإكليل ; فضحك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى بدت نواجذه , ثم قال : لله در أبي طالب لو كان حيا قرت عيناه من ينشدنا قوله ؟

فقام علي (عليه السلام) فقال : يا رسول الله لعلك أردت قوله :

و أبيض يستسقى الغمام بوجهه *** ثمال اليتامى عصمة للأرامل

تطوف به الهلاك من آل هاشم *** فهم عنده في نعمة و فواضل

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : أجل .

ثم قام رجل من كنانة فأنشده :

لك الحمد و الحمد ممن شكر *** سقينا بوجه النبي المطر

دعا الله خالقه دعوة إليه *** و أشخص منه البصر

فما كان إلا كما ساعة *** و أسرع حتى رأينا الدرر

دفاق العزالي و جم البعاق *** أغاث به الله عليا مضر

فكان كما قاله عمه أبو *** طالب ذو رواء غرر

به يسر الله صوب الغمام *** فهذا العيان لذاك الأثر

فمن يشكر الله يلق المزيد *** و من يكفر الله يلق الغير

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : إن يك شاعر أحسن فقد أحسنت .

استسقاء أبي طالب بالنبي :

و أخبرني الشيخ أبو عبد الله محمد بن إدريس رحمه الله بإسناد متصل إلى الحسن بن جمهور العمي البصري قال حدثني أبي عن أحمد بن قتيبة الهلالي عن صالح بن كيسان عن عبد الله بن رومان عن يزيد بن الصعق عن عمرو بن خارجة عن عرفطة الجندعي قال : بينا أنا بالبقاع من نمرة إذا أقبلت عير من أعلى نجد حتى حاذت الكعبة و إذا غلام قد رمى بنفسه من عجز بعير حتى أتى الكعبة و تعلق بأستارها ثم نادى يا رب البيت أجرني فقام إليه شيخ جسيم وسيم عليه بهاء الملوك و وقار الحكماء فقال ما خطبك يا غلام فقال إن أبي مات و أنا صغير و إن هذا الشيخ النجدي قد استعبدني و قد كنت أسمع أن لله بيتا يمنع من الظلم فجاء النجدي فجعل يسحبه و يخلص أستار الكعبة من يديه فأجاره القرشي و مضى النجدي و قد تكنعت يداه. قال عمرو بن خارجة فلما سمعت الخبر قلت إن لهذا الشيخ لشأنا فصوبت رحلي نحو تهامة حتى وردت إلى الأبطح و قد أجدبت الأنواء و أخلقت العواء و إذا قريش حلق قد ارتفعت لهم ضوضاء فقائل يقول استجيروا باللات و العزى و قائل يقول بل استجيروا بمناة الثالثة الأخرى فقام رجل من جملتهم يقال له ورقة بن نوفل عم خديجة بنت خويلد فقال إني نوفلي و فيكم بقية إبراهيم و سلالة إسماعيل فقالوا كأنك عنيت أبا طالب قال هو ذاك فقاموا بأجمعهم و قمت معهم فأتينا أبا طالب فخرج إلينا من دار نسائه في حله صفراء و كان رأسه يقطر من دهانه فقاموا إليه بأجمعهم و قمت معهم فقالوا يا أبا طالب قد أقحط الواد و أجدبت العباد فقم و استسق لنا فقال رويدكم دلوك الشمس و هبوط الريح فلما زاغت الشمس أو كادت و إذا أبو طالب قد خرج و حوله أغيلمة من بني عبد المطلب و في وسطهم غلام أيفع منهم كأنه شمس ضحى تجلت عن غمامة قتماء فجاء حتى أسند ظهره إلى الكعبة فاستجار بها و لاذ بإصبعه و بصبصت الأغيلمة حوله و ما في السماء قزعة فأقبل السحاب من هاهنا و هاهنا حتى لت و لف و أسحم و أقتم و أرعد و أودق و انفجر به الوادي و افعوعم و بذلك قال أبو طالب رضي الله عنه يمدح النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) :

و أبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للأرامل**

تطوف به الهلاك من آل هاشم * فهم عنده في نعمة و فواضل**

و ميزان صدق لا يخس شعيرة * و وزان حق وزنه غير عائل**

أبو طالب يهدد قريشا :

و منها يخاطب قريشا :

و لو لا حذاري أن أجيء بسبه *** تنث على أشياخنا في المحافل

لداستكم منا رجال أعزة *** إذا جردوا إيمانهم بالمناصل

رجال كرام غير ميل عوارد *** كمثل السيوف في أكف الصياقل

و ضرب ترى الفتيان فيه كأنهم *** ضواري أسود عند لحم الأكائل

رددناهم حتى تبدد جمعهم *** و ندفع عنا كل باغ و جاهل

هذا جميعه جواب قوله :

و لو لا حذاري أن أجيء بسبه *** ...

لأنهم كانوا يؤذون النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) و كان أبو طالب رضي الله عنه ينهاهم و لا ينتهون فخشي أن يحاربهم و يدوسهم كما وصف و هم آل الله و أهل حرمه و سكان بيته فيكون ذلك سببا إلى سبه لأن مكة لم يكن سل فيها سيفا إلا فاجر و بذلك أمر الله تعالى رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يفعل معهم في صدر الإسلام و بموجبه نزلت قُلْ يا أَيُّهَا الْكافِرُونَ إلى قوله لَكُمْ دِينُكُمْ وَ لِيَ دِينِ إلى أن نزلت آية السيف و منها :

و لكننا نسل كرام لسادة *** بهم تعتزي الأقوام عند المحافل

أ لم تعلموا أن ابننا لا مكذب *** لدينا و لا يعبأ بقول الأباطل

ابن عباس يستدل بشعر عمه على إسلامه :

أخبرني الشيخ الفقيه أبو الفضل شاذان بن جبرئيل رحمه الله بإسناده إلى محمد بن الحسن بن الوليد رحمه الله قال حدثنا الحسن بن متيل الدقاق قال حدثنا الحسن بن علي بن فضال عن مروان بن مسلم عن ثابت بن دينار الثمالي عن سعيد بن جبير عن عبد الله بن عباس رحمه الله : أنه سأله رجل فقال يا ابن عم رسول الله أخبرني عن أبي طالب هل كان مسلما فقال و كيف لم يكن مسلما و هو القائل :

أ لم تعلموا أن ابننا لا مكذب *** لدينا و لا يعبأ بقول الأباطل

ثم قال: إن أبا طالب كان مثله كمثل أصحاب الكهف أسروا الإيمان و أظهروا الشرك فأتاهم الله أجرهم مرتين .

أبو طالب يدعو الله بنصر النبي :

و منها :

لعمري لقد كلفت وجدا بأحمد * و أحببته حب الحبيب المواصل**

وجدت بنفسي دونه و حميته * و دافعت عنه بالذرى و الكلاكل**

فما زال في الدنيا جمالا لأهلها * و شينا لمن عادى و زين المحافل**

حليما رشيدا حازما غير طائش * يوالي إله الخلق ليس بما حل**

الماحل : الكاذب ; فيقول أبو طالب رضي الله عنه إن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ليس بكاذب فيقول المحال :

فأيده رب العباد بنصره * و أظهر دينا حقه غير باطل**

من أنصف و تأمل هذا المدح قطع على صدق ولاء قائله للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) و اعترافه بنبوته و إقراره برسالته لأنه لا فرق بين أن يقول محمد نبي صادق و ما جاء به حق و بين أن يقول :

فأيده رب العباد بنصره * و أظهر دينه الحق المخالف للباطل.**

فما بعد هذا القول المقطوع وروده من أبي طالب و ما أشبهه طريق إلى المتأول في كفره إلا و هو طريق إلى كفر حمزة و جعفر (عليه السلام) و غيرهما من وجوه المسلمين و إن أظهروا الإسلام و الإقرار بالشهادتين و نصروا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا كان أبو طالب قد شهد للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالنبوة و اعترف له بالرسالة في نظمه و نثره و خطبه و سجعه حسب ما أخبرتك مع نصره و بذل نفسه و ماله و أولاده و أهله و حثه على اتباعه و موالاة أوليائه و معاداة أعدائه فتأمل هذا القول فإنه أبين من النار المضطرمة في الليلة الظلماء و أنور من البدر الخارج من الغمامة القتماء .

الفصل التاسع

وصية أبي طالب بنصرة النبي :

و لما حضرت أبا طالب رضي الله عنه الوفاة دعا أولاده و إخوته و أحلافه و عشيرته و أكد عليهم الوصاة في نصر النبي و مؤازرته و بذل النفوس دون مهجته و عرفهم ما لهم في ذلك من الشرف العاجل و الثواب الأجل فقال :

أوصى بنصر نبي الخير أربعة * ابني عليا و شيخ القوم عباسا**

و حمزة الأسد الحامي حقيقته * و جعفرا أن تذودوا دونه الناسا**

كونوا فداء لكم أمي و ما ولدت *** في نصر أحمد دون الناس أتراسا

هذا القول منه خاتمة أمره مطابق لما قدم في سالف عمره ; فتأمل هذه الأخبار التي أوردناها و الأشعار التي ذكرناها و إن كانت قليلا من كثير و صبابة من بحر غزير فإنك تجدها على إسلام أبي طالب أعدل شاهد و تحقق أنه كان مؤمنا غير جاحد

تساؤل و استغراب :

و لقد أخبرني الشيخ أبو عبد الله رحمه الله عن الشريف أبي الحسن بن العريضي رحمه الله عن الحسين بن طحال المقدادي رحمه الله عن الحسن بن محمد بن الحسن بن علي الطوسي عن والده الشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي رحمهما الله عن رجاله عن الحسن بن جمهور العمى البصري رحمه الله يرفعه قال : أنشد عمر بن الخطاب قول زهير بن أبي سلمى :

فلا تكتمن الله ما في نفوسكم *** ليخفى و مهما تكتم الله يعلم

يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر *** ليوم الحساب أو يعجل فينقم

فقال عمر بن الخطاب ما رأيت جاهليا أعلم بالحكم من زهير و لو قلت إن شعره شعر مؤمن يدخل الجنة لإقراره بالبعث و النشور لقلت حقا ; فيا لله و للمسلم , أ لا يرى اللبيب أن من أعجب العجيب أن عمر بن الخطاب يسمع بيتي شعر لزهير في أحدهما ذكر الحساب فيقطع له بالجنة و لا يرتاب مع شهادته عليه أنه جاهلي لم يدرك الإسلام و لم يعرف الإيمان ; و هذا أبو طالب بن عبد المطلب له ديوان شعر يضاهي شعر زهير جميعه في الكثرة أو يزيد عليه يتضمن جميعه الإقرار بالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) و التصديق له و الحث على اتباعه و التوحيد لله تعالى و ذكر المعاد و الحساب و أهل العصبية الباطلة و الحمية الفاسدة يجعلونه من الكفار الخالدين في النار ; و لا يتدبرون ما يؤثرون من أخباره الشاهدة بإيمانه , و لا يتفكرون فيما يروونه من أشعاره الناطقة بإسلامه .

إذا الوحي فيهم لم يضرهم فإنني *** زعيم لهم أن لا يضورهم الشعر

فثبت بما بيناه بطلان قول المتعصبين عليه و الناسبين الكفر إليه و بعد ذلك كيف يتقدر من ذلك السيد الخطير اللبيب الكبير أن يعرف الحق و يعدل عنه معاندا و يلقى الله بعد معرفته جاحدا و قد كان حكيم زمانه و أديب أوانه حتى أن حلمه و رئاسته و شرفه و سيادته أبين من الشمس عند من لم ينقد لهوى النفس يقر له بذلك سائر الأنام في الجاهلية و الإسلام

سادات العرب يشيدون بأبي طالب :

أخبرني الشيخ الفقيه أبو عبد الله رحمه الله بإسناده إلى الحسن بن جمهور العمي رحمه الله يرفعه قال : قيل لتأبط شرا الشاعر و اسمه ثابت بن جابر من سيد العرب فقال أخبركم سيد العرب أبو طالب بن عبد المطلب و قيل للأحنف بن قيس التميمي من أين اقتبست هذه الحكم و تعلمت هذا الحلم فقال من حكيم عصره و حليم دهره قيس بن عاصم المنقري.

و لقد قيل لقيس حلم من رأيت فتحلمت و علم من رويت فتعلمت فقال من الحليم الذي لم تحل قط حبوته و الحكيم الذي لم تنفد قط حكمته أكثم بن صيفي التميمي. و لقد قيل لأكثم ممن تعلمت الحكم و الرئاسة و الحلم و السياسة فقال من حليف الحلم و الأدب سيد العجم و العرب أبي طالب بن عبد المطلب. و كيف يختار أبو طالب الكفر الذي لا يختاره إلا الأغبياء و المعاندون الجهلاء على الإيمان الذي لا يختاره إلا عاقل يعطي النظر حقه فيتحقق حينئذ صدقه و قد شأى العقلاء عقلا و بذ الفضلاء فضلا حتى أقرت بحكمته الحكماء و اعترفت بفضله الفضلاء و سارت بذلك الركبان و شاع في البلدان. و اعلم إن بني أمية و أشياعهم كانوا يبذلون على التناقص بآل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) البدر و يخلعون الخلع و يعاقبون من يروي مناقبهم و يذكر فضائلهم بأشد العقاب و أليم العذاب حتى صار الغوغاء من العوام و أهل الجهل من الأنام إذا سب آل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يستوحشون بل يرون أنهم إلى الله بذلك يتقربون. فلهذا الوجه و ما شاكله ذهب أخدان الجهالة و أهل الحيرة و الضلالة إلى تكفير أبي طالب عم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) صاحب المقامات التي بها ثبت الإسلام و عز الإيمان على ما قررناه و بيناه و أوضحناه .

الفصل العاشر

السبب في كتمان أبي طالب إسلامه :

اعلم أن السبب الذي دعا أبا طالب إلى كتمان إيمانه و إخفاء إسلامه أنه كان سيد قريش غير مدافع و رئيسها غير منازع و كانوا له ينقادون و لأمره يطيعون و هم على ذلك بالله تعالى كافرون و للأصنام يعبدون فلما أظهر الله دينه و ابتعث نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) شمر أبو طالب في نصرته و إظهار دعوته و هو برسالته من المؤمنين و ببعثته من الموقنين و هو مع ذلك كاتم لإيمانه ساتر لإسلامه لأنه لم يكن قادرا على القيام بنصر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) و تمهيد الأمور له بنفسه خاصة من دون أهل بيته و أصحابه و عشيرته و أحلافه و كانوا على منهاج قريش في الكفر و كان أبو طالب لا يأمن إذا أظهر إيمانه و أفشى إسلامه أن تتمالى قريش عليه و يخذله حليفه و ناصره و يسلمه صميمه و صاحبه فيؤدي فعله ذلك إلى إفساد قاعدة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) و التغرير به فكتم إيمانه استدامة لقريش على طاعته و الانقياد لسيادته ليتمكن من نصر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) و إقامة حرمته و الأخذ بحقه و إعزاز كلمته و لهذا السبب كان أبو طالب يخالط قريشا و يعاشرهم و يحضر معهم مآدبهم و يشهد مشاهدهم و يقسم بآلهتهم و هو مع ذلك يشوب هذه الأفعال بتصديق النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) و الحث على اتباعه. فلو أنه نابذ قريشا و أهل مكة و قام بمنابذتهم كانوا كلهم يدا عليه و على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) و لكنه كان يخادعهم و يظهر لهم أنه معهم حتى تمت الرسالة و انتشرت الكلمة و شاعت الدعوة و وضح الحق و كثر المسلمون و صاروا عصبة أولي بأس و نجدة حتى شاع ذكره في الآفاق و جاءته الوفود و علم من لم يعلم بحاله و عرفت اليهود مبعثه. و لذلك لما قبض أبو طالب اتفق المسلمون على أن جبرئيل (عليه السلام) نزل على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) و قال له ربك يقرئك السلام و يقول لك إن قومك قد عولوا على أن يبتوك و قد مات ناصرك فاخرج عنهم و أمره بالمهاجرة. فتأمل إضافة الله تعالى أبا طالب رحمه الله إلى النبي (عليه السلام) و شهادته له أنه ناصره فإن في ذلك لأبي طالب رحمه الله أو في فخر و أعظم منزلة و قريش رضيت من أبي طالب بكونه مخالطا لهم مع ما سمعوا من شعره و توحيده و تصديقه للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) و لم يمكنهم قتله و المنابذة له لأن قومه من بني هاشم و إخوانهم من بني المطلب بن عبد مناف و أحلافهم و مواليهم و أتباعهم كافرهم و مؤمنهم .

كانوا معه و لو كان نابذ قومه لكانوا عليه كافة و لذلك قال أبو لهب لما سمع قريشا يتحدثون في شأنه و يفيضون في أمره دعوا عنكم هذا الشيخ فإنه مغرم بابن أخيه و الله لا يقتل محمد حتى يقتل أبو طالب و لا يقتل أبو طالب حتى تقتل بنو هاشم كافة و لا تقتل بنو هاشم حتى تقتل بنو عبد مناف و لا تقتل بنو عبد مناف حتى تقتل أهل البطحاء فأمسكوا عنه و إلا ملنا معه فخاف القوم أن يفعل فكفوا فلما بلغت أبا طالب مقالته طمع في نصرته

أبا طالب يستعطف أبا لهب :

فقال رحمه الله يستعطفه و يرققه :

عجبت لحلم بابن شيبة حادث *** و أحلام أقوام لديك ضعاف

يقولون شايع من أراد محمدا *** بسوء و قم في أمره بخلاف

أضاميم إما حاسد ذو خيانة *** و إما قريب منك غير مصاف

فلا تركبن الدهر منه ظلامة *** و أنت امرؤ من خير عبد مناف

يذود العدى عن ذروة هاشمية *** إلا فهم في الناس خير إلاف

فإن له قربى إليك قريبة *** و ليس بذي حلف و لا بمضاف

و لكنه من هاشم في صميمها *** إلى أنجم فوق النجوم ضوافي

فإن غضبت فيه قريش فقل لها *** بني عمنا ما قومكم بضعاف

فلما أبطأ عنه ما أراد منه قال يستعطفه أيضا :

و إن امرأ من قومه أبو معتب *** لفي منعة من أن يسأم المظالما

أقول له و أين منه نصيحتي *** أبا معتب ثبت سوادك قائما

و لا تقبلن الدهر ما عشت خطة *** تسب بها أما هبطت المواسما

و ول سبيل العجز غيرك فيهم *** فإنك لم تخلق على العجز دائما

و حارب فإن الحرب نصف و لن ترى *** أخا الحرب يعطي الخسف حتى يسالما

فانظر إلى استعطافه لأبي لهب في هاتين القطعتين و قل ما أحزم قائله و ما أحسن توصله لأن أبا طالب رضي الله عنه قل ما قال من الشعر قطعة طويلة أو قصيرة إلا و شهد فيها لمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بالرسالة و أقر له بالنبوة. فانظر كيف عرى هاتين القطعتين من ذلك حيث خاطب بهما أبا لهب و ذلك

لما يعلمه من انحراف أبي لهب عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) و إصراره على عداوته و اجتهاده في تكذيبه و إنما استعطفه بالرحم و القرابة صناعة منه رحمه الله و حذقا ليكف أذى أبي لهب عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) و يخذله عن مساعدة كفار قريش لأن أبا طالب لو قال لأبي لهب كيف تخذل النبي الصادق و قد أنزل الله تعالى عليه كتابا من عنده و ما شاكل ذلك لأغراه بعداوته و بعثه على خصومته و لذلك ما زال يخادع قريشا ليتم له مرامه و يستوسق مراده

أبو طالب و ابن الزبعري :

أخبرني السيد عبد الحميد بن التقي الحسيني النسابة رحمه الله بإسناده إلى الأصبغ بن نباتة قال : سمعت أمير المؤمنين عليا (عليه السلام) يقول مر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بنفر من قريش و قد نحروا جزورا و كانوا يسمونها الظهيرة و يذبحونها على النصب فلم يسلم عليهم فلما انتهى إلى دار الندوة قالوا يمر بنا يتيم أبي طالب فلا يسلم علينا فأيكم يأتيه فيفسد عليه مصلاه فقال عبد الله بن الزبعري السهمي أنا أفعل فأخذ الفرث و الدم فانتهى به إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) و هو ساجد فملأ به ثيابه و مظاهره فانصرف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى أتى عمه أبا طالب فقال يا عم من أنا فقال و لم يا ابن أخ فقص عليه القصة فقال و أين تركتهم فقال بالأبطح فنادى في قومه يا آل عبد المطلب يا آل هاشم يا آل عبد مناف فأقبلوا إليه من كل مكان ملبين فقال كم أنتم قالوا نحن أربعون قال خذوا سلاحكم فأخذوا سلاحهم و انطلق بهم حتى انتهى إلى أولئك النفر فلما رأوه أرادوا أن يتفرقوا فقال لهم و رب هذه البنية لا يقومن منكم أحد إلا جللته بالسيف ثم أتى إلى صفاه كانت بالأبطح فضربها ثلاث ضربات حتى قطعها ثلاثة أفهار ثم قال يا محمد سألتني من أنت ثم أنشأ يقول و يومئ بيده إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) :

أنت النبي محمد *** قرم أغر مسود

حتى أتى على الأبيات التي أوردناها فيما تقدم من هذا الكتاب ثم قال يا محمد أيهم الفاعل بك ؟

فأشار النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى عبد الله بن الزبعري السهمي الشاعر فدعاه أبو طالب فوجأ أنفه حتى أدماها ثم أمر بالفرث و الدم فأمر على رءوس الملإ كلهم ثم قال يا ابن أخ أ رضيت ثم قال سألتني من أنت أنت محمد بن عبد الله ثم نسبه إلى آدم (عليه السلام) ثم قال أنت و الله أشرفهم حسبا و أرفعهم منصبا يا معشر قريش من شاء منكم يتحرك فليفعل أنا الذي تعرفوني فأنزل الله تعالى صدرا من سورة الأنعام وَ مِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَ جَعَلْنا عَلى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَ فِي آذانِهِمْ وَقْراً .

و روي من طريق آخر : أنه (عليه السلام) لما رمى بالسلى جاءت ابنته فاطمة (صلى الله عليه وآله وسلم) فأماطت عنه بيدها ثم جاءت إلى أبي طالب رحمه الله فقالت يا عم ما حسب أبي فيكم فقال يا بنية أبوك فينا السيد المطاع العزيز الكريم فما شأنك فأخبرته بصنع القوم ففعل ما فعل بالسادات من قريش ثم جاء إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال هل رضيت يا ابن أخي ثم أتى فاطمة (عليها السلام) فقال يا بنية هذا حسب أبيك فينا فهذا الحديث يدل على أمور منها رئاسة أبي طالب على الجماعة و عظم محله فيهم و كونه ممن تجب طاعته عندهم و يجوز أمره عندهم و منها شدة غضبه لله تعالى و لرسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) و حميته لدينه حتى بلغ من ذلك ما لم يستطمعه أحد قبله و لا ناله أحد بعده و لو لا ما قدمنا من كونه معهم كاتما لدينه منهم لما نال هذه الحالة العظيمة التي نال بها و بما قدمناه من أخواتها أعز الله به دينه و عصم رسوله و لو كان أبو طالب لم يؤاخذهم على تلطيخ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالسلى لاجترءوا عليه و تطاولوا إلى قتله

معاوضة قريش الفاشلة :

و روى الواقدي و غيره من أرباب الرواية و أهل الدراية :

أن قريشا اجتمعوا في ناديهم و تحدثوا في أمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) و قالوا أ لا ترون ما قد حدث علينا من محمد بن عبد الله من تسفيه أحلامنا و تضليل آبائنا و سب آلهتنا و وسم أديانا بالجهل و الله لا نصبر له على ذلك فقوموا بنا إلى أبي طالب فإما ينهاه عنا أو يبعده عن أرضنا أو يخلي بيننا و بينه فقد أفسد علينا سفهائنا يخدعهم و يمنيهم أنه سيظهر أمره فنهضوا جميعا يقدمهم أبو جهل بن هشام المخزومي و أبو سفيان بن حرب و أخذوا عمارة بن الوليد بن المغيرة المخزومي فلما حضروا عند أبي طالب قالوا له إنك على رأينا و قولك قولنا و قد جئناك نشكو إليك ابن أخيك و ذكروا له قصتهم و ما قصدوه و قالوا إما أن تنهاه و إلا فخل بيننا و بينه و قد جئناك بعمارة بن الوليد أبهر فتى في قريش و أكمله و أرجحه فخذه إليك يكن لك بمحله و ادفع إلينا محمدا فإنما هو رجل برجل يعنون لو قتله رجل منا ما كان لك إلا قاتله تقتله و لا تتبع فعل محمد. فقال المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف و كان حليفا لأبي طالب قد أنصفك قومك و قصدوا التخلص منك فقال أبو طالب لا و الله ما أنصفوني أعطيهم ولدي يقتلونه و آخذ ولدهم فأغذوه و لكنك يا مطعم قد أزمعت على خلافي و نقض عهدي فقال له مطعم كلا يا أبا طالب ما خامرني شيء مما ذكرت و إني على ما تؤثر فقال أبو جهل ما جواب ما جئناك فيه و شكوناه إليك من ابن أخيك فقال سأنهاه عن ذلك فانصرفوا فتأمل قول أبي طالب لأبي جهل سأنهاه عن ذلك فإنه حسن صناعة منه و مخادعة للقوم الذين

شكوا إليه لأنه قصد بذلك تفريق جماعتهم و اختلاف كلمتهم ليتخاذلوا و يتواكلوا و يدفع بالحال من يوم إلى يوم و من وقت إلى وقت ارتقابا لما تحقق عنده من ظهور أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فلو لا أنه مداخل قريش في جميع أمورهم و كونه يخفي إسلامه عنهم و يكتم إيمانه منهم لما قصدوه و شكوا إليه بل كانوا يقاتلونه و ينابذونه و يتركونه و لا يقصدونه و لو كانوا لما اشتكوا إليه و قالوا له إنك على رأينا إلى آخره قال لهم أنا مؤمن و لست على رأيكم لكانوا سووا بينه و بين النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في الخصومة و اجتمعوا عليهما جميعا و وجهوا أذاهم إليهما

أبو طالب يثأر لعثمان بن مظعون :

و كذلك لما كان عثمان بن مظعون الجمحي رضي الله عنه يقف بباب الكعبة و يعظ الناس أن لا يعبدوا الأصنام فوثبت عليه فتية من قريش و ضربوه فوقعت ضربة أحدهم على عينه ففقأتها فبلغ أبا طالب ذلك فغضب له غضبا شديدا و قام في أمره حتى فقأ عين الذي فقأ عينه و كانوا قد اجتمعوا إلى أبي طالب و ناشدوه أن يدعها و يدون له الدية فأقسم لهم إني لا أرضى حتى أقلع عين الذي قلع عينه فلو لا ما أخبرتك بمن مخالطته لهم و إخفاء دينه عنهم لما قدر على مثل هذه الأفعال التي قام بها الدين و أدحضت كلمة الكافرين مثل مؤمن قريش كمثل مؤمن آل فرعون ثم لم يزل أهل الإيمان و ذوو البصائر كالأنبياء (عليهم السلام) و الصالحين يكتمون إيمانهم من قومهم و عشائرهم لاقتضاء المصلحة كمؤمن آل فرعون الذي قص الله تعالى قصته في كتابه فقال عز و جل وَ قالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمانَهُ أَ تَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَ قَدْ جاءَكُمْ بِالْبَيِّناتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَ إِنْ يَكُ كاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَ إِنْ يَكُ صادِقاً يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ. فإن كان أبو طالب بكتمان إيمانه و إخفاء إسلامه كفر فكذلك هذا الذي قد سماه الله في كتابه مؤمنا ثم شهد عليه أنه يكتم إيمانه قد كفر بكتمان إيمانه إذ كان كتمانه الإيمان هداية و هذا مؤمن آل فرعون كانت حاله مع قومه كحال أبي طالب رضي الله عنه مع قريش فإنه كان يخفي عنهم حاله و يدخل معهم بيوت متعبداتهم و يقسم بمعبودهم و يأكل من مأكولهم و يشرب من مشروبهم حتى تم له ما كان يسره من التوحيد بالله تعالى و لم يعلموا بحاله حتى جاءهم موسى (عليه السلام) فقال أَ تَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَ قَدْ جاءَكُمْ بِالْبَيِّناتِ مِنْ رَبِّكُمْ ثم قدم لهم وَ إِنْ يَكُ كاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ حتى يخفي عليهم موضع عنايته به و لم يقل و هو صادق و إنما قال وَ إِنْ يَكُ صادِقاً تلطفا بهم كما كان أبو طالب يتلطف قومه فقبلوا منه رأيه. و كان فرعون قد عزم على قتل موسى (عليه السلام) و شايعه قومه على ذلك و كان الرجل

المؤمن مرضيا عندهم يرجعون إلى رأيه و يسمعون قوله فدفع عن موسى (عليه السلام) القتل بوجه لطيف و لو كان مظهرا الإيمان لما أطاعوه و لا قبلوا منه بل كانوا يعادونه و يقتلونه. و هكذا كانت حالة أبي طالب مع قريش حذو القذة بالقذة يدعو بدعائهم و يحضر في مجامعهم و يقسم بمعبودهم و كان سيدهم الذي يصمدون إليه و عميدهم الذي يعولون عليه و يرجعون إلى قوله و يستمعون إلى حديثه و كان أوفى مرتبة من مؤمن آل فرعون لأنه صدق النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في أشعاره و خطبه و كشف أمره و أعلن بصحة نبوته و خاصم قومه و ناظرهم و كاشفهم و نابذهم و لذلك اجتمعت على نفيه إلى الشعب المعروف بشعب أبي طالب و نفي جماعته فصبروا معه و عامتهم مشركون للأصنام يعبدون .

إبراهيم الخليل جاري قومه :

و هكذا كانت حال إبراهيم الخليل (عليه السلام) في ابتداء شأنه كان يخادع قومه على الإيمان و يدخل معهم في أمورهم حتى استوسق له مراده فإنه كان من مخادعته لهم أنه كان يعمد إلى طعام طيب فيجعله في طبق و يضعه قدام الأصنام و يقول أَ لا تَأْكُلُونَ ما لَكُمْ لا تَنْطِقُونَ مع علمه أن الأصنام لا تنطق و لا تأكل و لكنه قصد إعلام قومه بوجه لطيف أن هذه الأصنام لا تنفع و لا تضر و لا تسمع و لو كان قال لهم ابتداء إن هذه الأصنام لا تنفع و لا تضر لكان يعيرهم بها و يعرض نفسه لما لا قبل له به من أذاهم حتى إذا خلا بالأصنام أخذ معولا و جعلها جذاذا كما حكى الله تعالى عنه فلما رأوا ما صنع بالأصنام أنكروا ذلك و أكبروه و قالُوا أَ أَنْتَ فَعَلْتَ هذا بِآلِهَتِنا يا إِبْراهِيمُ قالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هذا فَسْئَلُوهُمْ إِنْ كانُوا يَنْطِقُونَ مع علمه أن المشار إليه صنم جماد لا يفعل شيئا من ذلك و إنما أراد أن يعلم قومه أن هذه الأصنام لا صنيع لها فرجعوا إلى قوله و سمعوا منه ثُمَّ نُكِسُوا عَلى رُؤُسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ ما هؤُلاءِ يَنْطِقُونَ. فهذا نبي مرسل و هو من أولي العزم لم يقدر على المقام مع قومه و بلوغ الغرض منهم إلا بدخوله معهم ثم عادوا بعد العلم إلى كفرهم .

مثل أبي طالب كمثل أصحاب الكهف :

و مثل ذلك في القرآن المجيد و السير و الآثار كثير لا يبلغ أمده و لا يحصى عدده كصنيع أصحاب الكهف و كتمانهم إيمانهم مع قومهم حتى تمكنوا من مطلوبهم و قصتهم مشهورة و حالهم معلومة و قد روي عن الأئمة من آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) و مواليهم أن حال أبي طالب كحال أصحاب الكهف و مؤمن آل فرعون. .

و من ذلك ما أخبرني به الشيخ الفقيه أبو الفضل شاذان بن جبرئيل رحمه الله يرفعه إلى الشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن موسى بن بابويه القمي رحمه الله قال حدثنا أبو الحسن محمد بن القاسم المفسر قال حدثنا يوسف بن محمد بن زياد عن الحسن بن علي العسكري عن آبائه (عليه السلام) في حديث طويل يذكر فيه : ... أن الله تبارك و تعالى أوحى إلى رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) إني قد أيدتك بشيعتين شيعة تنصرك سرا و شيعة تنصرك علانية فأما التي تنصرك سرا فسيدهم و أفضلهم عمك أبو طالب و أما التي تنصرك علانية فسيدهم و أفضلهم ابنه علي بن أبي طالب (عليه السلام) ثم قال و إن أبا طالب كمؤمن آل فرعون يكتم إيمانه

و من ذلك الحديث الذي أوردناه مسندا فيما تقدم من هذا الكتاب .

من قول الصادق (عليه السلام) : إن جبرئيل (عليه السلام) أتى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال يا محمد إن ربك يقرئك السلام و يقول لك إن أصحاب الكهف أسروا الإيمان و أظهروا الشرك فأتاهم الله أجرهم مرتين و إن أبا طالب أسر الإيمان و أظهر الشرك فأتاه الله أجره مرتين

و من ذلك ما رويناه أيضا فيما تقدم من هذا الكتاب أن رجلا سأل ابن عباس رحمه الله فقال له يا ابن عم رسول الله أخبرني عن أبي طالب هل كان مسلما فقال نعم و كيف لم يكن مسلما و هو القائل و أنشد بيتا من شعره ذكرناه فيما تقدم ثم قال إن أبا طالب كان مثله مثل أصحاب الكهف أسروا الإيمان و أظهروا الشرك فأتاهم الله أجرهم مرتين

أبو طالب يكتم إيمانه مخافة على بني هاشم :

و من ذلك ما رويناه أيضا فيما تقدم من هذا الكتاب .

عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) أنه قال : كان و الله أبو طالب عبد مناف بن عبد المطلب مؤمنا مسلما يكتم إيمانه مخافة على بني هاشم أن تنابذها قريش .

و قد حدثني الشريف النقيب أبو طالب محمد بن الحسن بن محمد بن معية العلوي الحسني أصلح الله شأنه في سنة تسع و تسعين و خمس مائة قال حدثني الشيخ سلار بن حبيش البغدادي رحمه الله و أنا قد رأيت سلارا هذا و كان رجلا صالحا قال حدثني الأمير أبو الفوارس بن الصيفي الشاعر المعروف بالحيص بيص قال :

حضرت مجلس الوزير يحيى بن هبيرة و معي يومئذ جماعة من الأماثل و أهل العلم و كان في جملتهم الشيخ أبو محمد بن الخشاب النحوي اللغوي و الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي و غيرهم فجرى حديث شعر أبي طالب بن عبد المطلب فقال الوزير ما أحسن شعره لو كان صدر عن إيمان فقلت و الله لأجيبن الجواب قربة إلى الله تعالى فقلت يا مولانا و من أين لك أنه لم يصدر عن إيمان فقال لو كان صادرا عن إيمان لأظهره و لم يخفه فقلت لو كان أظهره لم يكن للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ناصر قال فسكت و لم يحر جوابا و كانت لي عليه رسوم فقطعها و كانت لي فيه مدائح في مسودات فأبطلتها جميعها .

خاتمة الكتاب :

و قد وفينا بما وعدنا و انتهينا إلى ما شرطنا من هذه الجملة التي ذكرناها و النبذة التي أثبتناها مما سمعناه و رويناه و قرأناه و وعيناه و هي نزرة من جم و قطرة من يم على أنها لمن وعى محسبه كافية و لمن اهتدى مقنعة شافية و ذلك مع قطع الساعات و إنفاق الأوقات بمعاناة هذا الدهر الغشوم و العصر الظلوم الذي أصبح نجم العلم فيه خافيا و زنده كابيا

أتى الزمان بنوه في شبيبته * فسرهم و أتيناه على الهرم**

و قد كنت عزمت على أن أذكر آباء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من لدن عبد الله بن عبد المطلب إلى عدنان و أذكر ما عثرت عليه من الأخبار الدالة على إيمانهم واحدا واحدا و أورد بعض ما وقفت عليه من مناقبهم و أخبارهم و مآثرهم. و كنت عزمت أيضا عند إيراد ما ذكرته من أشعار أبي طالب رحمة الله عليه أن استوعب شرح الشعر و ذكر معانيه و تفسير لغته و غريبه و أقيم على ذلك شواهد معروفة عند أهل اللغة من

الآثار و الأشعار فخشيت أن يطول الكتاب فيمل ناظره و يسأم متأمله و يكون ذلك داعيا إلى تركه باعثا على رفضه لعلمي بحيف أهل هذا العصر عن اقتباس العلم و استماع الحكم فلا تكاد ترى فيهم نبيها رفيعا أو خاملا وضيعا إلا رأيته ساعيا لدنياه مائلا عن أخراه

يجمع ما يفنى فأما الذي * يبقى فما أمسى له يجمع**

فقصرت هذا الكتاب على ذكر إيمان أبي طالب (عليه السلام) إذ كان ذلك كالفرض الواجب و أنا أرغب إلى الله تعالى في إجزال مثوبته و إتمام نعمته و أن يجعل ما نحوناه خالصا لوجهه الكريم و ينجينا بما قصدناه من عذابه الأليم فإنه جزيل الحباء كثير العطاء فله الحمد على السراء و الضراء و الشدة و الرخاء و صلى الله على سيدنا محمد النبي و أهل بيته الطيبين الطاهرين و سلم تسليما كثيرا